عزيز نيسين



الرجال.. والمشانق..

ترجمة: محمد مولود فاقي

دار المنارة

الرجال... والمشانق

* الرجال... والمشانق
* تأليف: عزيز نيسين
* ترجمة: محمد مولود فاقي
* الطبعة الأولى ١٩٩٩

* **دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع**

سورية - اللاذقية - ص.ب: ٨٢٢

هاتف: ٤٦٥٧٦٣

* التوزيع في جميع أنحاء العالم:

الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص.ب: ٢٢٢٠٥

هاتف: ٤٤١٨٢٠٢ - ٤٤١٨١٧٢

عزيز نيسين

الرجال... والمشانق

ترجمة محمد مولود فاقي

مراجعة شعبان علي سليم

عنوان الكتاب بالتركية

AZIZ NESIN

مقدّمة

قصة حياتي التي نشرتها على حلقات في جريدة /المساء/ عام ١٩٦٥م تحت عنوان «هكذا جاء ولن يذهب هكذا» ثم نشرتُ هذه الحلقات في كتاب بعنوان /الطريق/.

لم أستطع كتابةَ ونشرَ الجزء الثاني من هذه السلسلة إلا في عام ١٩٧٥ في كتاب بعنوان «رأس الطلعة». وكانت هذه الحلقات قبل أن تجمع في هذا الكتاب قد نشرت في جريدتين، قسم منها في جريدة «الوسط الجديد» والآخر في جريدة السياسة»، والآن وبعد مرور عشر سنوات من ظهور القسم الثاني من قصة حياتي، لم أستطع كتابة الجزء الثالث منها.

طبعاً هناك أسباب عديدة وراء نشر قصة حياتي بهذا البطء الشديد، سأحاول الآن توضيح أهم تلك الأسباب باختصار، فأنا مجبر على التوضيح لأنني كلما دخلت بين الجماهير وأنا على رأس عملي في /جمعية نيسين/ يسألني كل يوم شخصان أو ثلاثة عن موعد مباشرتي بالجزء الثالث من قصة حياتي، منذ عشر سنوات تطرح علي هذه الأسئلة بشكل مباشر أو بالرسائل والهواتف، وأنا في حيرة من أمري إزاء الأجوبة النهائية التي يجب أن أرد بها.

- متى سيصدر الجزء الثالث؟
- هل بدأت بكتابة الجزء الثالث؟

ـ منذ سنوات طويلة ونحن نترقب الجزء الثالث؟

ـ وعدتمونا بأن تكون قصة حياتك منشورة على ثمانية أجزاء وقد نشرت خلال خمسة عشر عاماً جزءاً واحداً...

كيف ستكملها.

من الصعب جداً إيضاح مدى خجلي أمام هذه الأسئلة والكلمات، ليس لدي جواب نهائي أردُّ به، أقول لهم بنيّة صافية، في نهاية هذا العام أو في بداية العام المقبل سأبدأ، أنا لا أريد أن أتخلص بكلامي هذا من قرائي الكرام، في الحقيقة أريد وبرغبة كبيرة إتمام كتابة قصة حياتي، لكن الأعوام تمر مسرعة... وقبل أن أوضح عدم كتابتي، يجب أن أوضح كيف ظهر كتاب الطريق الذي جمع من الحلقات التي نشرتها في الجريدة بعنوان (هكذا جاء ولن يذهب هكذا).

في أحد الأيام عام ١٩٦٥ اتصل بي المدعو /أغوز أكان ـ مدير النشر في جريدة المساء/ هاتفياً إلى منزلي وطلب مني موعداً للتحدث بأمر هام، جاء إلى منزلي الكائن في طريق الفنار مع صديق له في الوقت المحدد للزيارة، جاء وبيده باقة ورد ـ وهذا دليل على رقته الزائدة ـ كنت قد عملت عامين في جريدة المساء من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ وتركت العمل فيها، ولأول مرة كنت أرى هذا الصحفي المدعو /أغوز/ أكان الذي بدا لي قريباً من القلب، إنسان محب، رقيق المشاعر، إنه إنسان قوي كامل، وطلب مني أن أكتب لجريدته حلقات يومية من الخواطر والقصص أو رواية طويلة لأنشرها في حلقات.

كان هذا المطلب من أغلى الطلبات التي نلتها في حياتي الصحفية.

لن أدخل في التفصيلات الدقيقة لكني سأدخل بالموضوع مباشرة.

بعد أن تسلّم الحكم الجديد قيادة البلاد في ٢٧ أيار ١٩٦٠ طلبت لجنة الأمة من بعض الأساتذة الجامعيين وضع دستور جديد للبلاد، وعندما

طال وضع الدستور أكثر من اللازم، غضب صديقي كمال طاهر كثيراً وبدأ بالصراخ:

«يا عالم يا هو ما بال هؤلاء الأساتذة المختصين بوضع الدستور لم يستطيعوا وضعه بعد مرور كل هذا الوقت الطويل؟».

البروفسور المختص بهذا العمل يجب أن تكون محفظته جاهزة بالقرارات والبنود دائماً.

هل وضع يديه في جيوبه مرة أو مرتين وفي كل مرة يُخرج بعض البنود، هل هذا يكفي حتى يقال عنه بروفسور دستوري؟

ما هو العمل الموكل إليه غير هذا العمل كي يتأخر كل هذا الوقت ماذا يبيعون؟ ماذا يشترون؟ هل لهم عمل آخر؟

بدأ الذين لم يألفوا سماع كمال طاهر الحبيب بالهجوم عليه وعلى تضخيم محتوى كلماته ومبالغته أكثر من اللازم.

لكنْ مهما بالغوا وضخمّوا من كلماته، وهجومه المباشر على أولئك الدستوريين، فالحقيقة ستظل قائمة ولا سيما حقيقة واحدة ربما لا تكون البنود الدستورية جاهزة في محافظهم، ولكن يجب أن يكونوا جاهزين للعمل والتضحية وخاصة في تلك الأيام العصيبة. فوق ذلك كله، عليهم أن يبدأوا تعويد طلابهم على هذه الأمور، وتعليمهم واجباتهم أو هكذا كان يتراءى لي على الأقل، أو لربما نحن الكتّاب ننظر إلى الأمور بوجهة نظر خاصة، فنقع في هذه المشاكل.

بالنسبة لي ينبغي على الكتّاب الذين يطلب منهم رواية ما، أن يقدموا خمس أو عشر روايات أو مخطوطات هذه الروايات أو مسوداتها.

قلت لـ /أغوز أكان/ الذي طلب مني رواية لجريدته /المساء/ لديّ مسودات لعدة روايات وبعض مخطوطات لروايات وهناك روايتان مكتوبتان جاهزتان وسأعطيك جميعها كي تختار ما يناسب جريدتك...

كان لي منزل آخر كنت أعمل فيه غير البيت العائلي في حي طريق الفنار فذهبنا إلى هناك، وعندما وضعت مسودات أكثر من خمس عشرة رواية احتار أغوز وقال لي:

ـ من فضلك هل أستطيع أن آخذ هذه الروايات لعدة أيام؟

ـ بكل تأكيد فأنا وضعتها أمامك لهذا الغرض.

كنت قد كتبت خمس عشرة صفحة من هذه الملفات، كانت بداية قصة حياة، لكنها مأخوذة من قصة حياتي. وقد تركتها لكي أكتب بعض الحالات الواقعية. بعد أربعة أيام اتصل بي أغوز أكان وطلب مني القصة التي كتبت منها خمس عشرة صفحة، من قصة حياتي والتي لم أضع لها اسماً بعد.

وهكذا ظهر إلى الوجود مسلسل «هكذا جاء ولن يذهب هكذا»، فأنا مدين بظهوره لـ (أغوز أكان) شخصياً، ولولا هذا الاقتراح الذي قدمه لي لما بدأت به حتى الآن، ولظلت هذه الصفحات القليلة (والتي كانت البداية) ساكنة آمنة إلى جانب رفيقاتها في خزانتي.

حاولت مرات عدة وأنا أنشر الكتب التي جُمعت من المسلسل المذكور أن أقدم بعض السطور القليلة باسم /أغوز أكان/ لأرد ما علي من ديون له وعرفاناً مني بالجميل، إلا أن الحبيب أغوز، اقترح وبكل تواضع أن أقدم له كلمة شكر في أحد الكتب، أما الآن فلن يمنعني أحد في هذا التقديم من إجزال الشكر والوفاء بالدين، لأن الحبيب أغوز قد مات... ولن يمنعني أحد.

انتظرت عشر سنوات بعد نشر الجزء الأول من قصة حياتي كتاب ـ الطريق ـ كنت انتظر أحدهم ليقترح علي ويجبرني على كتابة الجزء الثاني، كما ظهر «أغوز أكان» في الجزء الأول.

ولم يكن يتشرف أحد أصحاب الجرائد أو دور النشر بالاقتراح علي

بأن أكتب مع العلم أنني سمعت ولاحظت بأن حظ الجزء الأول من قصة حياتي كان كبيراً، سواء أكان في الجرائد أو لدى القراء الذين يترقبون ظهور الجريدة يومياً على أحرّ من الجمر لقراءة الحلقات المتسلسلة، لأن المتعارف عليه والحضاري في تلك الأيام، أن يمر الكتّاب الكبار على الجرائد واحداً تلو الآخر، ليقدموا كتاباتهم وينشروها، واعتاد أصحاب الجرائد على هذا الأمر.

لم أجد أرق من أغوز أكان ـ ولم يكن أحد يعلم أن هناك كتّاباً يعتمدون بمعيشتهم على كتاباتهم البسيطة تلك دون الاعتماد على مورد آخر.

هذا هو السبب الرئيسي لتأخري في نشر الجزء الثاني من مسلسل (هكذا جاء ولن يذهب هكذا) الذي طال عشر سنوات في عام ١٩٧٥ طلب مني /كمال بيسالمان/ صاحب جريدة «الوسط الجديد» أن أبدأ كتابة الجزء الثاني من مسلسل قصة حياتي، وبناء على طلبه بدأ الجزء الثاني بعنوان ـ رأس الطلعة ـ غير أنني وبتصرف غير لائق من «كمال بيسالمان» وجدت نفسي مجبراً على ترك الكتابة والعمل معه.

ثم طلب مني صاحبا جريدة السياسة /اسماعيل جيم/ و /أوزجان أريكلي/ أن أكتب لهما قصة حياتي، حيث كتبتْ ونشرت ثم جمعت في كتاب وتم توزيعه.

والآن مر أحد عشر عاماً على ظهور الجزء الثاني من قصة حياتي والقراء الأعزاء ما زالوا يسألونني عن ظهور الجزء الثالث. لقد حاولت جاهداً توضيح هذه النقطة بالذات، لماذا لم أكتب قصة حياتي.

بالطبع ليس هذا هو السبب الوحيد لتأخري في الكتابة، أيضاً هناك ضيق الوقت وأعمال أخرى تقتضي المتابعة وأعمالي في نقابة الكتّاب الأتراك، والدعاوى التي أقيمت ضدي في المحاكم، وعلاقاتي الاجتماعية

والعائلية، واقتراحات أصدقائي كل هذه الأمور أدّتْ وتؤدي إلى تأخير كتابة ونشر قصة حياتي، ومبادئي الخاصة المغروسة في أعماقي تجعلني أحس بأنني مقصر تجاه المواطنين والقراء الذين أوصلوني إلى ما أنا عليه ومهما بدت مني هذه الأفعال والتأخير، أحس بأنني مدين ويجب علي أن أوفي ديوني ووعودي لقرائي وأصدقائي، إذ ينبغي أن أرد هذا الدين كيفما كان، وهذا الإحساس بالتقصير، أصبح واجباً بالنسبة لي ويجب ألاّ أتراجع عن القيام به، وهكذا كلما تأخرت في كتابة قصة حياتي ازدادت غنىً وثراءً ورونقاً من خلال الحياة الجديدة التي أعيشها كل يوم وساعة، لكن مع الأسف الشديد لا أجد وقتاً مناسباً لتسجيلها ونشرها.

كما لا أجد في الكتابة أسباب عيشي فإنني لا أجد متسعاً من الوقت للكتابة عن نفسي في هذه الحياة التي أكرسها لغيري.

قبل شهر طلب مني شاب موهوب أحبه وأقدره كثيراً أن أكتب في مجلته /تاريخ ومجتمع/ الأحداث الدرامية يومي ٦ و٧ أيلول الدامية وأن أسجل هذه الفاجعة كشاهد حي رأى وتابع ما جرى، وبدأت بالكتابة وتصورت أن أحصرها في أربع أو خمس صفحات على الأكثر، إلا أن هذه الأحداث الدرامية كانت تنمو وتكبر وتزداد الصفحات التي كنت أكتبها كل يوم، لقد كتبتُ هذه الأحداث على نمط /هكذا جاء ولن يذهب هكذا/ وبشكل أوسع، لذا أصبحت هذه الحادثة جزءاً من تاريخ حياتي وقطعة من سابقتها (هكذا جاء...) ونشرت بشكل مختصر في جريدة الصباح ونالت أهمية مادية والأعداد التي لم تنشر دفعتها إلى «متى تونجاي».

والكتابات التي تحدثت عن أحداث ٦ و٧ أيلول جمعتها في الكتاب الذي بين أيديكم (الرجال الذين سيلقون على المشانق كعناقيد العنب) ومن هؤلاء الرجال الذين كانوا سيعلقون كنت أنا شخصياً. وهنا لا بد أن

أشكر /متى تونجاي/ لأنه كان السبب في استحضار هذه المذكرات أو بالأحرى هذا الكتاب، ولولا طلبه ربما بقيت مطوية أو لم تكتب أبداً، وهناك كتابان جديدان سيدخلان مسلسل (هكذا جاء...) بعنوان (عزيز نيسين في البوليس) والكتاب الآخر (النفي).

وهذا الكتاب (الرجال الذين سيعلقون...) أصبح حلقة من حلقات المسلسل السابق.

أما قصة حياتي بالنسبة لتسلسلها التاريخي فلن أكتبها على الأقل في هذه الأيام، وأخشى ألا يبقى وقت للكتابة.

وهناك أحداث مهمة في حياتي أنوي كتابتها /كل على حدة/ وأجمعها في كتب حيث خططت لذلك. مثلاً: أريد أن أجمع كتاباً عن صباح الدين علي.

والكتب الثلاثة التي ذكرت - حوادث النفي، - وعزيز نيسين في البوليس، - والرجال الذين سيعلقون.... ستأخذ مكانها في مسلسل (هكذا جاء...).

وأخيراً أقدم شكري وتقديري الكبيرين للمرحوم؟ أغوز أكان/ والذي جاء متأخراً، وإلى /متى تونجاي/ الذي له الفضل الكبير في كتابة وتحضير هذا الكتاب.

جيها نفير

١٣ أيلول ١٩٨٦

عزيز نيسين

١

قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية

سألتها وكأنني أهبط من السقف.. هل تتزوجينني؟ قبل أن أسألها هذا السؤال كان نقاشنا خارج نطاق هذا الموضوع.. أحاديث جميلة شيّقة.

لم تفكر كثيراً وبأقل من دقيقة قالت: نعم.

كان ذلك في الساعة الثامنة عشرة من الخامس من أيلول عام ١٩٥٥ كنا جالسين في حديقة الجنة ـ ما زلت أذكر تلك الجلسة تحت شجرة في تلك الحديقة وعلى المقعد الذي جلسنا عليه بعد مرور واحد وثلاثين عاماً.

كنت سأودعها في محطة /سيركجي/ لأنها ستسافر إلى مدينة /جوروم/ لتقدم امتحان الثانوية العامة. وصاحب اقتراح اللقاء بيننا هو /منصور تكين/ لم أعد أذكر مكان ذلك اللقاء، ربما كان في غرفة إخراج مجلة «آق بابا ـ النسر» الساخرة. وككل يوم اشتغلت في المجلة المذكورة حتى المساء. ففي تلك الأمسية كان عليّ أن أودع الفتاة التي ستكون زوجتي وبنفس الوقت الذي سأقترض مبلغاً من مجلة (آق ـ بابا) لأن «منصور تكين» سيكون ضيفي.

كنت أكتب تقريباً كل الزوايا الموجودة في مجلة «آق ـ بابا النسر» عدا الافتتاحية والقصص المترجمة وبعض الفقرات الفكاهية وكان الأجر الذي أتقاضاه اسبوعياً من ٥ إلى ٦٠ ليرة ويقطع منها ١٠٪ ضريبة.

زوجة المستقبل هذه كانت قد طلبت مني دواءاً لأنها تحسّ بالغثيان والدوار في الحافلة، اشتريت لها الدواء من صيدلية قريبة مقابل المحطة.

ودعتها وعدت إلى «آق ـ بابا» والتقيت منصور تكين. مع الأسف كثيرون هم الذين لا يعرفون «منصور تكين» معرفة تامة مع أنه الشخص الذي يجب أن يعرفه الجميع فهو من القلائل الذين يضيئون الطريق للآخرين. ولماذا بقي مجهولاً؟ لأنه كان يفضل البقاء في الظل كأشخاص الرواية التي كان يترجمها (جيش الظلال) وسأعرّف به في الكتاب الذي كتبته منذ عشرين عاماً ولم أخطه بعد، سأحاول توضيح شخصيته وأعماله بكتاب عنوانه «الرجال الذين متُّ معهم».

كان لي ولدان: صبيٌ في الحادية عشرة وفتاة في الثانية عشرة، وكنا نقطن حي (الحربية) في قبو في الطابق الثاني تحت الأرض. وكان علي أن أكون لولدي الأب والأم، لكن ظروف الحياة القاسية التي كنا نمر بها لم تساعدني لأكون الأب الجيد الذي يقوم بواجباته الأبوية على أكمل وجه.

كنت في الأربعين من عمري ولكنني ما كنت أعيشُ سن الأربعين هذا لقيامي بواجبات الأب والأم.

كنا نملك كلباً اسمه «فِنْدِق» وكان هذا الكلب يحاول مساعدتي أثناء العمل والكتابة طوال الليل. كنت أسهر طويلاً أشرب الشاي ولفائف التبغ، وكان ينام قرب طاولتي الكبيرة، وكانت مساعدته تظهر بين حين وآخر، حين يرفع رأسه وينظر إلي مطولاً فمن خلال عينيه الغارقتين بين شعره الطويل، كنت أحس بنظراته هذه وكأنه يواسيني ويؤنسني وهذا تابعٌ «على ما أظن من حساسيته الزائدة» حيث كان يعود إلى نومه عندما يجد أنه لا فائدة من النظر إلي هكذا، وهذه الحالة كانت تدوم حتى الصباح في بعض الأحيان. في الأمسيات كنت مجبراً على البقاء مع ولدي أطهو الطعام وأجهز المائدة وأغسل الأطباق ثم أبدأ بالعمل، في بعض الأحيان كنت أتأخر بالمجيء إلى البيت وهذا نادراً ما حصل. كنت

أعدُّ لهما الطعام قبل الذهاب وأخبرهما بأنني سأتأخر كيلا ينتظرانني وأطلب منهما أن يناما.

ذلك المساء كنت مع «منصور تكين» نزلنا من (جاغا لوغول) ببطء شديد لأن منصور كان في حالة غير طبيعية حيث كان يعيش بكلية واحدة «وهو بنفس الوقت المغامر الحقيقي لقصة الكلية في مجموعة صباح الدين علي».

ركبنا حافلة مليئة من محطة /سيركجي/ كنا في آخرها هو في الجهة اليمنى وأنا في الوسط، مجموعة كبيرة من الناس انتشرت هنا وهناك وملأت الشوارع والساحات بعضهم يحمل الأعلام التركية صارخين بصوت عال: (قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية).

(سادات سيمافي) إنسانٌ له مكانة خاصة في حياتي، وله عليّ أفضال كثيرة، سأخصص له حيزاً كبيراً من مسلسل /قصة حياتي/ (هكذا جاء ولن يذهب هكذا) في الأجزاء القادمة، إنْ كتبتها.

لا أعتقد بوجود ميول سياسية لدى هذا الإنسان، لأنه يرى نفسه فوق السياسة (أي فوق الحكومة والأحزاب)، وحسب اعتقادي فهو يفكر بتوجيه الحكومة للسياسة الخارجية، ربّما كان محقاً في تفكيره (إذا قبض على عصمت باشا في الخارج).

عندما بدأ بإصدار جريدة (الحريات) نالت شهرة واسعة، وأصبح شبيهاً بملك الصحافة الأمريكي (هارست) إذ كان يتمتع بنفوذ كبير (أعباء كبيرة). كان يريد وضع إمكاناته الشخصية وأفكاره الجيدة في خدمة تركيا - وليس لمنفعته الخاصة.

لاحظت هذا الشيء، على الأقل في أحاسيسه ومشاعره الشخصية، وتوصلت إلى قناعة بأن هذا نابع من شيئين:

الأول: من مقالته الافتتاحية في جريدة الحريات، والثاني: من مناقشاتنا

أثناء عملي معه في الجريدة، ولا أعتقد أنه يحب وزير الخارجية «فؤاد كوبرولو» ولا يعجبه أبداً لأنه المحرك الأساسي لمسألة قبرص وفي السياسة الخارجية للدولة حتى في الإعلام الداخلي.

لقد أثار المسألة القبرصية في الرأي العام التركي كنيزكٍ عملاق سقط من السماء دفعة واحدة.

والأهمية التي أعطاها /سادات سيمافي/ للمسألة القبرصية تفوق الحركة الرياضية (الأولمبياد) آنذاك، مع إرساله لوفد من الصحفيين لمتابعة هذه المسألة التي أثّرت إيجابياً على مبيعات جريدة (الحريات) الحديثة الصدور، وحطمت الأرقام القياسية في هذا المجال.

لقد كانت المسألة القبرصية مسألة حساسة، ملتهبة على الدوام.

أما تصرفات وزير الخارجية /فؤاد كوبرلو/ فلم تكن تدل على هذا الدفء والحساسية، وكأنه لا يوجد لدينا مسألة تسمى مسألة قبرص. أما في أحداث ٦ ـ ٧ أيلول، فقد كان وزير الخارجية آنذاك السيد فاتح رشدي قوياً ومتمكناً، وكان حكمت بيل الساعد الأيمن /لسادات سيمافي/ قد أصبح محرراً في جريدة الحريات.

كان حكمت هذا غريب الأطوار، وسيحتل مكاناً في مسلسل (هكذا جاء..) وسيكون واحداً من الذين سيكذبون كل ما كتبه في الرسائل التي بعثها إلي. كنت أعمل مع هذا الرجل في جريدة /تان/ التي أطاحت بها حكومة الحزب الواحد آنذاك (حزب الشعب الجمهوري) بحجة أنها جريدة يسارية. في الرابع من كانون الأول عام ١٩٤٥ كان حكمت بيل قد قدّم استقالته من الجريدة قبل الإطاحة بها بيوم أو بعدها بيوم.

في تلك الأثناء بدأ الشبان الصحفيون هجومهم على رئيس جمعية الصحفيين المدعو /حقي طارق أوس/ وكان بنفس الوقت هجوماً على حكومة الحزب الواحد حزب الشعب الجمهوري. لأن /حقي/ كان يُعدُّ

رأس الحربة في إعلامهم، كانوا يبحثون عن مرشح للرئاسة (ولا يجدون نظيراً صحفياً لطارق أوس) عندما ذكرت لهم اسم سادات سيماي، كان بعض الحضور لا يعرفون حتى اسمه والآخرون قالوا أنه ليس صحفياً، بل هو صاحب مجلة (السيد سيماوي هو بالأصل صاحب مجلة السبعة أيام) وابعدوا اسمه عن الترشيح، وكان من بين الأسماء المرشحة كل من: (حكمت بيل وفاروق فنيك وقدري قايبال) وعندما أصبح سادات سيماوي رئيساً لجمعية الصحفيين، أصبح حكمت بيل ورحمي قراجة نائبين له. كان حكمت بيل مدير جمعية لها صلة بالمسألة القبرصية ولا أذكر اسمها الآن، هذه الجمعية كانت تحاول على الدوام إقامة الاجتماعات وتوزيع الإعلانات وتنظيم المظاهرات وأشياء أخرى كثيرة... حتى يضرموا النار في الرأي العام التركي، وإبقاء المسألة القبرصية مشتعلة ومتأزمة دائماً، والعمل على تشكيك الشعب بالمسألة القبرصية، وقد نجحوا بهذا العمل. (اسم الجمعية قبرص التركية).

كانت الحافلة تسير بنا وإذ بالمجموعات التي رأيناها تكبر وتزداد من كل أنحاء استنبول نحو ساحة التقسيم.

○ ○ ○

▪ ٢ ▪

قنبلة في منزل أتاتورك

انفجرت قنبلة في منزل أتاتورك الكائن في مدينة سالونيك (المدينة التي ولد فيها) ألقيت هذه القنبلة لإثارة الفتنة داخل الشعب ولإثارة الأتراك ضد اليونانيين الموجودين في استانبول، وكان لهذه الحادثة صدى عميق جداً، فقد كتبت الجرائد بأن مخبراً ألقى القنبلة نحو منزل أتاتورك.

بعد هذه الحادثة كتبت مجلة «التاريخ والمجتمع» في عددها الصادر في أيلول عام ١٩٨٦ وبالحرف الواحد (وضعت قنبلتان إحداهما في منزل أتاتورك الكائن في مدينة سالونيك، والأخرى في حديقة القنصلية التركية فانفجرت إحداهما وأدت إلى بعض الخسائر وتحطيم زجاج النوافذ في البيوت المجاورة.

المنزل الذي ولد فيه أتاتورك في مدينة سالونيك لا يزال متحفاً حتى يومنا هذا وهناك منزل طبق الأصل عن منزل أتاتورك في حي «الجفتلك» الكائن في مدينة أنقرة. إلا أن هذا المنزل كان ملكاً لزوج والدته ويقال بأنه قد زاره أثناء دراسته وهو صغير، ولا أعتقد أن هذا المنزل له قيمة تاريخية بالنسبة لمنزله في سالونيك، إلا أنه منزل.

أذيع خبر وضع القنبلة في منزل أتاتورك من إذاعات تركية في الساعة الواحدة في السادس من أيلول.

وانتشر الخبر كانتشار النار في الهشيم (أنا لم أسمع الخبر في ذلك اليوم). كثيرون مثلي صدقوا الأقاويل التي قيلت بأن اليونانيين هم الذين

وضعوا القنبلة. ومثل جميع أهالي استانبول اتجهنا نحو حي التقسيم أمام تمثال أتاتورك، واجتمعنا آلافاً مؤلفة، إذ يظن المرء أن هذه الجماهير المتزاحمة ستنسحب وتتفرق بعد سماع خطابات المسئولين في تلك الجمعية التي ذكرتها آنفاً، وقد يكون للحكومة يد في تنظيم هذه المظاهرات إن لم تكن تنفيذاً لطلبها.

مررنا في «توب خانة» ولدى صعودنا أعلى شارع «فيروز آغا» إذ بالمجموعات البشرية تتزايد وتتكاثر وهي تصرخ: «قبرص تركية» ولكثرة المشاركين كانت السيارات تمر بصعوبة بالغة من كثرة الناس.

كان منصور تكين إنساناً يخاف كثيراً... انهزامياً إلى حد ما ربما لسببين اثنين أولهما: حالته الصحية غير الطبيعية. وثانيهما: خشيته من أن يفقد راتبه التقاعدي الشهري، فهو لا يملك مردوداً آخر غيره. كانت المجموعات البشرية تتحول إلى كتلة سوداء وخرج من هذه الكتلة السوداء أحد الرجال قاطعاً طريق السيارات وقد علت الهتافات «قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية» وكأنهم أرادوا أن يصل هتافهم إلى قبرص.

ومن وقت لآخر كانت تصدر عنهم شتائم تثير الاشمئزاز وسباباً قاسياً وألفاظاً سوقية. نظرت إلى وجه منصور فإذا به أغبراً كالكلس. تمتم في أذني دون أن يسمع بقية الركاب الآخرين، أكره أشياءً ثلاثة: الازدحام، والقبح، والألفاظ السوقية. كان منصور قد قرأ أفكاري وعبر عنها بأحسن تعبير ونطق بالكلمات التي كنت أريد أن أنطق فقد استعملت هذه الكلمات في مناسبات عدة على أنها من مفرداتي، أكره ثلاثة أشياء الازدحام والقبح والألفاظ السوقية، وبقينا ساعة كاملة في الطريق من / سيركجي/ إلى /غلطة السراي/.

كم أتاتورك؟

في /غلطة سراي/ نزلنا من الحافلة وسألته: أين سنذهب؟

ـ ما رأيك بمطعم «ازمير» وهو قريب من هنا.

ثمة مطعم صغير كنا نذهب إليه في رأس التلة مقابل المسرح الكوميدي الذي احترق قبل سنوات، واجهته صغيرة إلا أنه واسع وطويل في الداخل، ويقدم فيه الشراب إلى جانب الطعام.

دخلنا المطعم وجلسنا على طاولة في وسطه، كان منصور يدخن مع أنه مرَّ بأزمة قلبية نتيجة الخوف الشديد، وكان يقسم اللفافة إلى قسمين ويدخن كل قسم بمفرده ـ وكأنه يضحك على نفسه ـ وضع علبة سجائره وولاعته على الطاولة.

أحضر النادل «العرق والمقبلات» حينها كنت أشعل سيجارة من أخرى. انغمسنا في النقاش وتحدثنا عن صباح الدين علي، وأسد عادل، ورمضان أركين، وآخر الحوادث.

كانت الصرخات «قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية»، تعلو وتنخفض من حين لآخر لكنها لم تنقطع أبداً، كنا نسمع ذلك أثناء نقاشنا ولا نهتم لهذه الأمور، نعيش في عالمنا الخاص. ربما يتفرقون بعد قليل عندما يحل الظلام، كنت أفكر بأولادي بين حين وآخر هل تناولوا طعام العشاء؟ هل ناموا؟ أم أنهم يتعاركون الآن؟ كان تفكيري دائماً بهم.

لست أدري كم كانت الساعة ربما العاشرة مساءً أو أكثر، كانت الأصوات لا تنقطع في الخارج من هتافات وضجيج، فجأة فتح باب المطعم الخارجي بقوة ودخل شاب يحمل علم تركية مرفرفاً من شدة اندفاعه، ودخلت مجموعة من ورائه من المزاحمين السود وربما بلغ عددهم عشرة أو خمسة عشر شاباً وكانوا يتقدمون بأمر الشاب الذي يرفع العلم بيمينه ويوجههم بيده اليسرى.

آ آ آ آمان أنا أعرف هذا الشاب الذي يحمل العلم أعرفه جيداً، وذلك أثناء وجودي في سجن سلطان أحمد. لأنهم وقتها رموه في مهجعنا. ما

أغرب ذاكرة الانسان، أشياء كثيرة مهمة لا نتذكرها وأشياء تافهة لا ننساها ونتعرف عليها بسرعة لأنها تحفر في الذاكرة كما تحفر السواقي الأرض. أربعون عاماً وما زلت أذكر لباس هذا الشاب بأدق تفاصيله، ربما أذكر اسمه قبل خمسة عشر عاماً. كان عمره آنذاك لا يتجاوز الخامسة والعشرين، كان متأنقاً في لباسه حتى لتظن أنه من مواليد استانبول نظراً للهجته، وعند النظر إلى سمرة وجهه وضخامة أنفه وكثافة شعره تقول أنه شرقي الأصل، وهذا الطراز من الشبان لا يفكر إلا بالمظهر الخارجي كاللباس غير العادي لتغطية تلك السمات الموجودة فيهم. وكان جلد حذائه كاشف الصفرة ومطرزٌ من جميع أطرافه، ونعلاه سميكان وبنطاله بني اللون، وياقة قميصه عريضة، ومعطفه مخطط يميل إلى البني، وعقدة ربطته كانت كبيرة حول رقبته، وعموماً كان يشبه بائعي الفحم أثناء الحرب.

هذه السمات كانت موجودة فيه آنذاك وهذا ما كان يقوم به فعلاً في «أوسكودار».

وككل الموظفين الصغار أراد أن يخرج عن الطريق القويم بسرقة حصص الناس الفقراء. إلا أنهم ألقوا القبض عليه متلبساً بفعلته. عكس الموظفين الآخرين الذين لم يقبض عليهم بالجرم المشهود.

وكل يوم كان يأتي أحد أفراد أسرته حاملاً إليه الطعام وأشياء أخرى، وعندما رموه في مهجعنا كان يدعو للشفقة وكأنه على وشك البكاء، والمهم أنه كان ولداً مهملاً غاضباً يتكلم قليلاً وبميوعة واضحة.

بعد خروجه من السجن صادفته عدة مرات يبحث عن عمل، وكنت أراه زائد التأنق بحذائه اللامع، وبنطاله المكوي، وربطته المعقودة حول عنقه «عقدة كبيرة»، وفي آخر مرة رأيته فيها سألته: ماذا تعمل؟ قال لي أنه عضو في تلك المنظمة التي لم أتذكر اسمها قبل قليل «منظمة قبرص التركية».

كان عدد الشباب يتزايد داخل المطعم كلما ارتفعت اشارة الشاب لهم بالدخول فأصبحوا أكثر من أربعين شخصاً عدا الواقفين خارج المطعم.

آه. ما أغرب هؤلاء الشباب؟ أي نوع من البشر هم؟ وجوههم وثيابهم قذرة وشعرهم مبعثر متهدل وقد تهدجت أصواتهم من كثرة الصراخ «منظر مقرف» جزيرة قبرص تركية وستبقى تركية.

تقدموا وهم يرددون هذا النداء، بينما الجالسين لم يتحركوا عن طاولاتهم، وراحوا يمرون متمايلين بين الطاولات، ينظرون نحو اليمين واليسار، ويدورون إلى الخلف ويركضون. أما صاحب المطعم فقد صعد فوق إحدى الطاولات وهو يحمل بيديه صورة كبيرة لـ (أتاتورك) جاعلاً منها ترساً يحمي نفسه بها، وبين الفينة والأخرى، كان يرفع رأسه من فوق الإطار يرجوهم بصوتٍ باك مقسماً لهم بأن هذا المطعم ليس يونانياً، ويسحب رأسه عند أقل حركة تصدر منهم، ثم يرفع رأسه ويقسم أنه تركي مسلم، وإنْ أرادوا التأكد من ذلك فلينظروا إلى هويته التي تؤكد أنه تركي ومسلمٌ. والسبب الذي دعا المزاحمين إلى التقدم بخطوات مترددة ظهور صورة أتاتورك بهذا الشكل المفاجئ.

في تلك الليلة «ليلة ستة - سبعة ايلول، شهدتُ وعايشت أحداثاً مأساوية ومضحكة بنفس الوقت.

كم تقدرون عدد الصور الموجودة لأتاتورك في مطعم كبير يقدم المشروبات والطعام هيا خمنوا؟ اثنتان... ثلاث... أربع... أكثر بكثير، وأدهشني وجود هذا العدد الكبير من الصور في مطعم (ازمير)، وقتها قال صاحب المطعم لعماله القريبين منه وهو يختفي خلف صورة أتاتورك:

- هيا أحضروا صوراً لأتاتورك.

ثم رفع رأسه عن الترس وبدأ يرجوهم في كل خطوة يخطونها، وكل

لحظة يقتربون فيها منه، طالباً منهم أن يصدقوه بأنه تركي ومسلم، وأنه يحب أتاتورك كثيراً ومن السائرين في ركابه.

في كل مرة أيضاً كان أحد العمال يأتي بصورة جديدة ـ ويرفعها إلى الأعلى.

صور بأشكال ووضعيات مختلفة. بعضها ذات إطار مربع وأخرى مستطيلة خشبية أو معدنية مذهبة أو محفورة ـ تمثل أتاتورك بصور مدنية، وأخرى عسكرية (بجزمة ودون جزمة) بقبعة ودون قبعة. صور بأحجام مختلفة صغيرة وكبيرة.

كان صاحب المطعم قد خزنها في المستودع تحسباً لكل الطوارئ والأحداث، هل هو مسلم وتركي حقيقي؟ لست أدري، لكنه كان يتحدث بلهجة استانبولية سليمة.

بين وقت وآخر كنت أتأهب للحديث مع هذا الشاب الذي يرفع العلم وأقول له: (ماذا تفعل يا رجل)؟ ألا ترى المسكين، إنه مسلم وتركي. ولكن هل سيؤثر فيه هذا الكلام؟ أم سيكون كلاماً لا طعم له وكأن هذا المحل سيحطم ويحرق إنْ كان صاحبه غير مسلم. إن الإنسان ليكاد يهذي من الحيرة. الزحام الأسود يقترب منا وكل صور أتاتورك لا تجدي نفعاً، بقي بيننا وبينهم طاولتان فارغتان والجالسون عليهما كانوا قد فرّوا إلى الخلف، وفي كل مرّة كان صاحب المطعم يقول: أنا مسلم..أنا تركي.. أنا معكم.. وإذ بالتحطيم والتكسير يبدأ وراحت أبواب المطعم الزجاجية والبلاستيكية والصحون تتهاوى على الأرض بأصوات (شان قور ـ شان قير) وتتحطم. وكأن أصوات التحطيم يعطيهم دفعاً جديداً لتحطيم أشياء أخرى.

ومنصور ـ هذا المنصور المسكين، بدا وكأنه قطعة لحم رُميتْ فوق الكرسي، تمتم في أذني لنهرب يا عزيز... لنهرب... سيقولون لنا «هاها في هذا اليوم الوطني تشربون وتمتعون أنفسكم» وسيقطعوننا إرباً إرباً. هل

تقول الهرب؟ غير ممكن أبداً.. أنا لا أستطيع أن أهرب، هذا لا يليق برجولتي لأنني لا أستطيع أن أفعل ذلك... ثم إلى أين سنذهب؟ الهروب إلى داخل مطعم ليس خلاصاً.

أفضل عمل نقوم به المشي نحوهم دون خوف ـ إذا استطعنا الخروج نرمي بأنفسنا إلى الشارع ـ شيء آخر هو يجب أن تعرف الفرنسية. مسكت بيدي منصور وأوقفته على رجليه بصعوبة بالغة، وتأبطته ومشينا. وإذ بنظراتي تصطدم بعلبة سجائره وولاعته الذهبية فوق الطاولة، وضعتها في جيبي لأن منصور لا يستطيع أن يراها، ومشينا نحو الزحام الأسود. لم يحاول أحدٌ الخروج قبلنا لا أدري كيف خرجنا من وسط الزحام الأسود كالشعرة من العجين، الآن لا أستطيع أن أتذكر أي شيء.. كأنني لم أعايش تلك الحادثة أبداً.. لماذا تركونا؟ لا أعرف، ربما لحالة منصور المتعبة.. أو ربما تعرّف عليّ الشاب حامل العلم /رئيس الازدحام/ وتركنا نخرج دون أن يقول شيئاً.

قذفنا بأنفسنا نحو الشارع ـ أمانـ لو تعرفون نوعية هذا الأمان... ونحن في الداخل كنا لا نعرف شيئاً عما يجري في الخارج...

كأن القيامة تقوم في الخارج، حتى ذلك الوقت لم أكن قد رأيت حي /باي أوغلو/ ابن البيك بهذا الشكل وأتمنى ألاّ أراه ثانيةً.

طيلة تاريخ هذا الحي لم يصبح على هذا الشكل. هذه الزحامات السوداء المخيفة. كانوا يصرخون بأصوات عالية وبشكل جماعي.. ومن اندماج أصواتهم يخرج ضجيج رهيب. وزمامير السيارات لم تتوقف وقد ربطت خلف كل سيارة أقمشة /من نوع التفتة/ تصل إلى عشرين متراً. الرصيف في بعض الأماكن لا يتعدى ارتفاعه الثلاثين سنتمتراً وقد يتجاوزها في بعض الأحيان. ما هو السبب برأيكم؟ من الأشياء التي تكسرت وتبعثرت وتحطمت وانتشرت ومن الأجبان والمربيات والزيتون والسمن والخضار

المجففة والمعلبات والعسل والبسطرمة والسندويش والزجاجات المكسَّرة هنا وهناك كل هذه الأشياء زادت من سماكة الأرصفة في بعض الأماكن. ولكثرة مرور السيارات فوقها أصبحت لينة وكأن المرء يعيش في عالم غير عالمنا، عالم خيالي وإن كان في كلامي هذا مبالغة أو بعض الهراء، فإنني أعطي بذلك لمنطقي بعض الأهمية... لماذا؟

كنا نراقب السيارات التي ربطتْ خلفها (البفتات) الطويلة بدهشة، وهذا دعانا إلى الانتظار وعدم اجتياز الشارع، وإذ بأحد الذين يصرخون: (قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية) يقع على الأرض بقوة بعد أن داس على إحدى البفتات الطويلة المربوطة خلف السيارات التي كانت تسير بسرعة فائقة. وقع وتدحرج على الأرض اللزجة وانفجرت رأسه.. عندها توصلت إلى قناعة حمقاء مفادها: لقد ربطوا هذه الأقمشة الطويلة خلف السيارات كي يقع كلّ من يدوس عليها لينكسر وينجرح، وعندما أفصحت لمنصور بما أفكر قال:

ـ لا يا هو.. لقد ربطوا هذه الأقمشة التي نهبوها من المحالّ التي حطموها وكسروها كي يضفوا على المظاهرة رونقاً جديداً.

ربما هي الحقيقة؟ عندما أمعنت النظر إلى تلك الأقمشة المتنوعة من الحرائر، لا يستطيع المرء النظر إليها وهي تتمزق وتتسخ وهي زاحفة وراء السيارات.

اجتزنا الشارع إلى الجهة المقابلة ونحن ندوس على الأقمشة، لكن دون أن تسقط، وكي لا نصدم السيارات كنا نجري بسرعة. عندها قال منصور وهو يمسك يدي:

ـ آمان.. رويداً رويداً يا عزيز، قلبي على وشك أن يهبط وضعت يده حول رقبتي ونقلته إلى الرصيف المقابل، لأنني لا أستطيع حمله، إرتحنا بعض الوقت مستندين إلى جدار فندق /بيرابالاس/.

أحياناً يصدر عن بعض الناس كلمات لا معنى ولا أهمية لها لكنها في نفس الوقت تُظهر شخصيتهم الحقيقية.

فجأة قال منصور وهو يستند إلى الجدار: لم ندفع حساب المطعم، ضحكت وقلت: هناك من يدفع الحساب.

قال منصور: آه يا إلهي

- ما الذي حصل

- لقد نسيت ولاّعتي الذهبية هناك.

- هذه ولاعتك خُذْ.. لقد أحضرتها.

- قال بتعجب: كيف أخذتها وسط تلك الضجة والازدحام؟

بدأنا المسير ببطء وأدهشني كثيراً أن هناك أحداث لا يصدقها المرء في معركة الحياة الحقيقية، ولا يستطيع مهما كان خياله واسعاً، أن يتفاعل مع كذبه على إقناع الآخرين، لدرجة وصف حادثة من الأحداث. وهذا ما حصل معي تماماً فيما سأروي لكم، لست أدري كيف سأصفها حتى تصدقونني.

ثمة امرأة في العقد الخامس من عمرها كانت تمشي أمامنا بخطوتين أو ثلاث، وهي تدير رأسها إلى الوراء، ولولا ذلك التصرف الغريب ما كانت لتلفت نظري، كانت تحمل فروة كبيرة طويلة وهي تصرخ (قبرص جزيرة...) ومع كل صرخة تنتف بعض الريش من فروتها، ومن تصرفها هذا، كان واضحاً أنها غير قادرة على إيذاء الفروة. كانت تنظر بذعر في كل الاتجاهات كأنها تخشى أحد المتتبعين لها وهي تسرق الفروة. لهذا كان القلق بادياً عليها وهي تنتف وبرة واحدة مع كل صرخة. وكان صوتها يضعف بمرور الوقت وهي تصيح (قبرص...) هذا واضح قبرص ستبقى تركية والفروة ستبقى مع المرأة، من يدري من أين خرجت وهي تصرخ (قبرص جزيرة تركية...) حاملةً الفروة حتى وصلت إلى هنا..

ابتعدت ودخلت أحد الأزقة المظلمة واختفت عن الأنظار. حادثة أخرى عايشتها تلك الليلة.. لن أنساها، ربما كانت صغيرة وتافهة في الوقت الذي كان الازدحام الأسود يسرق وينهب ويحطم، إذ بشاب رث الثياب قذر الوجه مغلوط الشكل راح يهجم على زجاجات العرق ويعبّ منها عباً مالئاً رأسه بالخمر، بينما كان الآخرون يصرخون قبرص تركية و.... لم يستطع السيطرة على نفسه إذ راح يتمتم (ميكروس تركي وسيبقى تركياً).

يريد أن يصرخ لكن صوته خانه من شدة السُكر وكان صوته يشبه زمور سيارة وهو يقول: (ميكروس تركي وسيبقى تركياً).

بعد ستة أعوام من أحداث ٦ ـ ٧ أيلول وعندما نشرت رواية زوبك الفكاهية استخدمت لغة ذلك السكران شعاراً لتلك الرواية.

نزلنا الطريق المارّ بقرب فندق /بيربالاس/ وهو طريق درجيّ.

عند وصولنا إلى الحي السفلي إذ بـ /بشار كمال/ و/علي رؤوف/ قادمين صوبنا وقد تأبط كل منهما ذراع الآخر.

من الضروري أن أعرّف ولو قليلاً بعلي رؤوف... ضخم الجثة يشبه بشار إلى حدٍّ ما، يصغرني عشر سنوات تقريباً، من أنصار /غلطة سراي/ صحفي عمل فترة في جريدة /تان/ قبل أن أعمل بها ثم عمل في جريدة مسائية كان يصدرها آنذاك /أدهم عزت تبنيجة/ وقد استنتجت من حديثه معي، أنه تقدمي ويساري (أصدقه كما أصدق الجميع) في بعض الأمسيات كنا نخرج معاً من بابيالي مجتازين /جسر غلطة/.

نفترق هناك وكلّ يذهب إلى بيته... فهو لم يتزوج ويسكن مع أمه. وكالإنسان الذي يتعلق بقشه وهو يغرق، داهمني إحساس كإحساس المتعلق بقشة ويجب أن أزيح هذا الكابوس القابع في أعماقي لهذين الصديقين العزيزين، بعد الأحداث المخيفة التي مرت.

قلت: يا هو... ما هذه الوحشية وما هذه البربرية والهمجية؟

كنت سأروي لهم ما جرى معنا في مطعم ازمير وإذ بعلي رؤوف، يهاجمني هجوماً كاسحاً كجماعة الازدحام الأسود.

قال: ماذا تقصد، وكيف تتحدث هكذا عن هذه الانتفاضة الوطنية وبهذا الشكل - لقد ظهر واضحاً الغليان الوطني. وقال كلمات أخرى... كأنه يخطب في جمهرة من الناس، هذا الإنسان الذي اعتبرته صديقاً أحبه وأحترمه تحول إلى إنسان متوحش عيناه عينا وحش كاسر وقد امتلأ فمه بالزبد.

أما منصور قال وهو يرجوني: اسكت يا عزيز بالله عليك اسكت... دعنا نذهب بسرعة - ولولا وجود منصور ما كنت لأسكت أبداً وبدا أن علي رؤوف سيقودني إلى الشرطة كخائن للوطن وكان هذا واضحاً عليه.

وأكثر ما أدهشني في هذه الحادثة موقف /بشار كمال/ الذي بقي صامتاً دون أن ينطق حرفاً واحداً، وبقي محايداً لا يدافع عن موقفي ولا عن موقف علي رؤوف، ومنصور يحاول جاهداً أن يبعدني عن هذا الموقف.

أحياناً يمر الإنسان ببعض المواقف ويتصرَّف بعكس ما هو واجب، مثلاً عندما يريد أن يقول أشياء كثيرة، فإنه لا يستطيع أن يقول شيئاً، ربما يقول بعض الكلمات القليلة... في هذه الحال وبدل أن يقول الحقيقة تصدر منه كلمات تافهة لا معنى لها...

وقعت في المأزق. كنت سأقول لعلي رؤوف أشياء كثيرة، لكن أين؟ وكيف؟ فصرخت: اخجل على نفسك.. وتعرف الفرنسية أيضاً!. سأترك الآن أحداث ٦ - ٧ إيلول قليلاً، لأنهي توضيحي لعلي رؤوف من أجل هذه الحوادث (التي أثارت الفتن، وأفسحت المجال للنهب) - دخلنا السجن وخرجنا. مرت شهور وفهم علي رؤوف الوجه الآخر لأحداث أيلول ومضمونها الحقيقي، كنت ألتقي به هنا وهناك ولم أكن أبادله السلام

والكلام وفي كل لقاء يعتذر عما بدر منه وحاول كثيراً أن يوضح خطأه السابق، لم أحقد عليه لكنني كنت أشعر نحوه بالاشمئزاز.

مرّ عام أو عامان، كان قد أصبح وكيلاً لدار نشر فرنسية تنشر وتوزع الروايات المصورة، وصار يكسب المال الوفير بسهولة بالغة، في أحد الأيام تقابلنا في مكتب وكيل أعمالي وصديقي السيد عثمان قراجة..

وقال نفس الكلمات السابقة وقال في النهاية:

ـ كما تريد... فكل ما تقوله صحيح، لكن أريد أن أفهم معنى كلماتك التي قلتها في تلك الليلة (وتعرف الفرنسية أيضاً) ماذا قصدت بها؟

بعد مرور كل هذا الوقت على مرور الحادثة لم ينسَ تلك الكلمات التي قلتها وأنا في حال لا يحسدني عليها أحد، يبدو أن تأثيرها قوياً، بحيث ظلت ماثلة في ذاكرته لا يمكن أن ينساها.

أجبته: في تلك الليلة كنت سأقول لك أشياء كثيرة، لكن منصور كان مريضاً /مات منذ مدة طويلة/ وبسببه لم أستطع التحدث إليك طويلاً، وما أردت أن أقوله في تلك الليلة: بما أنك النافذة المفتوحة على العالم الخارجي لمعرفتك الفرنسية طبعاً ـ لم تقدر على استيعاب الأمر ومعرفة خفاياه، وأنت على اتصال مع العالم والثقافات الأخرى، ماذا سيفيدك معرفتك اللغة الفرنسية.

وعلمت فيما بعد أنه ذهب إلى فرنسا وضاع هناك... ماذا جرى له؟ لست أدري؟.. فلا أحد يعرف شيئاً عن غيابه...

○ ○ ○

ـ ٣ ـ

أحداث مضحكة

في كل حادث مؤلم حزين لا بد أن يكون فيه بعض الفكاهة، وبالعكس في كل حادث مفرح لا بد من بعض الحزن والدراما.. هذا واقع.. شئنا أم أبينا، وهذا ما حصل لي تماماً في أحداث ٦ ـ ٧ أيلول المفجعة. فقد حدث فيها بعض المواقف المضحكة ـ شهدت بأم عيني وقوعها ـ كصاحب الفندق الذي كان يرفع صور أتاتورك ـ واقفٌ فوق الطاولة ـ وذلك الانسان الذي سقط وتدحرج على الأرض عندما كان يصرخ (قبرص تركية) وقد وطأ بقدمه إحدى تلك «البفتات»(*) المربوطة خلف السيارات، وتلك المرأة التي سرقتِ الفروة وهربت بها وهي تصرخ وتنتف شعرة مع كل صرخة. والشاب السكير الذي كان يقول (ميكروس تركي وسيبقى تركياً) وأحداث سمعت عنها: مجموعة من المتظاهرين نظرت إلى وجه أحدهم وكان طويل القامة فظنوه يونانياً وراحوا يضربونه ويلكمونه ـ مع العلم أن هناك تشابه كبير بيننا وبين اليونانيين ـ ومن كثرة الضرب والتجريح جعلوا منه عجينة ومن خوفه أن يتقطع أحد أطرافه أو جزء آخر من جسده راح الرجل يرجوهم ويؤكد لهم أنه تركي ومسلم.

ـ والله أنا تركي وبالله أنا مسلم.

قالوا: اخلع سروالك.. لنرى.

أنزل الرجل المسكين بنطاله وسرواله الداخلي وأثبت لهم تركيته

(*) البفتة: قطعة قماش بيضاء (المترجم).

واسلاميته وبإثبات أن يكون مختوناً ـ وكان كذلك ولو كان بالعكس فعلى الدنيا السلام وإذا ثبت أنه غير مختون بعد سؤاله وجوابه يقوم أحد المتظاهرين بعملية الختان وسط الشارع وضمن الازدحام بسكين يحمله في جيبه. زيادة أو نقصان ثلاث سنتمترات لا يشكل أية أهمية بالنسبة لهم. في تلك الليلة ختنوا لأفراد عدة وجعلوهم مسلمين بقوة السكاكين وكان بينهم أحد القساوسة.

مثل هذه الأحداث المضحكة ربما تكون ملفقة ومبالغ فيها، إلا أنها حقيقية وهنالك براهين تثبت ذلك.

حتى الساحر المشهور (أبراكادابرا) وقع بنفس المشكلة، إذ وصف أحد شهود العيان ما رآه: الشاهد /يعقوب أولوكان/ في تلك الليلة لم يحضر أحد من المشاهدين لرؤية الساحر المعروف «أبراكادابرا» الملقب بعمر لطفي وعندما أراد العودة إلى منزله خرج إلى الشارع، وإذ بمجموعة من المتظاهرين تصيح: انظروا إنه كاهن يحاول الهرب (لأنه كان ملتحياً) وعندما ألقوا القبض عليه راح المسكين يرجوهم بأن يتركوه في حال سبيله، إلا أن توسلاته لم تجد نفعاً، في النهاية أنزل بنطاله وسرواله الداخلي ليتأكدوا من أنه تركي ومسلم (أي مختون)، وبذلك تخلص من الضرب والعذاب، لكنهم قالوا له: (إذا كنت مؤيداً لنا اصعد السيارة وافعل كل ما نريد).

بدأ الخوف يزداد داخل المطعم، منزل سيبل يقع في جهة الأناضول، قلت لها: لنواصل المسير إلى البوسفور لأن ركوب الزوارق صعب جداً في جو كهذا.

تثبتت، تلك الفتاة الخجولة برأيها، قالت مبتسمة وهي تنظر إلى وجهي: ماذا حصل؟ هل خفت!

الوقوع في البلاء أن تتحدى شابة صغيرة قلت: هيا امشي...

نزلنا من السيارة في حي /بشيكتاش/ في استانبول، وكأن القيامة قد قامت لكثرة الناس والازدحام في الشارع، عندما شاهدتْ سيل حطام الزجاجات المتراكمة على الأرصفة وأزقة الحارات، والمخازن المنهوبة التي نهبها المتظاهرون. بدأتْ ترجوني بالعودة وبسرعة إلى المنزل. قلت لها: لا لن نعود إلى البيت، سنذهب إلى البوسفور. كانت جموع المتظاهرين تحاول قطع الطريق أمامنا وهي تصرخ (العلم.. العلم) لم نتوقف، وتابعت السيارة طريقها، عندما رأوا أننا لن نتوقف بدأوا رمينا بالحجارة وبأشياء أخرى حيث كانت تصدر صوتاً قوياً عندما تصطدم بالسيارة.

اضطررنا للتوقف في (أورتاكوي) بسبب جدار إنساني ضخم، لن أستطيع أن أنسى تلك الصور من وراء الزجاج، صور مليئة بالحقد والكراهية، ولا أصدق أن جزءاً من شعبنا يقوم بمثل هذا التصرف الأعمى.

أنزلتُ زجاجَ النافذة من جهتي وحاولت أن أتحدث مع أحدهم.

- ماذا هناك؟ لماذا قطعتم علي الطريق؟

- أين عَلَمُكَ؟

- أتستطيع أن تجد علماً لكل سيارة وفي كل وقت؟ يا أخي

هوى برأسه على جبهتي فحاولت رفع الزجاج ثانيةً (بطبيعة الحال كانت أبواب السيارة مقفلة).

مدَّ يده فوق الزجاج محاولاً منعي من إغلاقه إلا أن اصبعه حشرت بين الزجاج والنافذة فبدأ يصرخ بصوت جهوري حاد... وقتها، راحوا يضربون السيارة بالعصي الغليظة والأحجار، فتكسر زجاج نوافذها. أما سيبل فكانت تئن بحزن، حاولتُ التقدم بالسيارة إلى الأمام لكنها كانت قد رُفعتْ عن الأرض من قبل المحيطين بها وكأنهم يرفعون دمية. وقتها

قدرت قيمة هذا الازدحام وهيبته، كانت عجلات السيارة تدور في الهواء وثقوب كثيرة تُفْتَحُ في نوافذ السيارة وكانت تمطر علينا قطع الزجاجات الصغيرة المحطّمة.

أطفأت المحرك فأنزلوا السيارة على الأرض وما إن لامست العجلات الأرض أدرتُ المحرك ثانية وضغطت على دعسة البنزين فانطلقت السيارة بسرعة جنونية.

تناثرت الجثث يميناً ويساراً وتلك الأصوات لا تزال تئن في أذني حتى هذا اليوم.

لم أستطع أن أنساها، كأنها أكياس دقيق تصطدم بجدار قوي.

تحولت نظرة الغدر في عيون المتزاحمين إلى علامات الدهشة على وجوههم فخرجنا من بينهم كالشعرة من العجين.

كنت أقدِّر أن أكثر من أربعة أشخاص ـ على الأقل ـ لاقوا حتفهم (لكنْ عندما صدرت البيانات الرسمية في اليوم الثاني جاء فيها «لا وفيات في حوادث الأمس» فاستغربتُ كثيراً.

قلت لسيبل: (في حرب كوريا لم أقتلْ أحداً لكنْ هنا عفست الكثيرين)

كانت المسكينة بحال لا تستطيع أن تتكلم فيها.

المتظاهرون يجوبون كل مكان يملؤون الأحياء وخاصة حي (ألبانيا) وحي (تيتيل)

أما سيارتي فكأنها خارجة لتوها من معركة كبيرة ـ أَنَرْتُ الأضواء القوية وقلتُ: سأنطلق بسرعةٍ بين المتزاحمين لأننا لا نستطيع العودة من حيث أتينا، ودون أن أخفف من سرعة السيارة مررتُ كالسهم بينهم، حالفني الحظ للمرة الثانية لأنني لم أصدمْ أحداً منهم. كان علي أنْ أجدَ

عَلَماً قبل كل شيء، طلبت علماً من المخفر الموجود في (أميرهان) قالوا لا يوجد.

وعلى البناية المقابلة للمخفر رُفع علمان على الجدار، سحبتُ أحدهما وربطته في مقدمة السيارة بقوة.

هذه المرّة ظهر أمامنا الجنود وقطعوا علينا الطريق ونحن عائدون عن طريق المسلخ لنصل إلى بئر السلاسل (زنجيرلي فيو) - حي في استانبول - حاول النقيب (وهو رئيسهم) أن يقبض علي لأن الاحكام العرفية كانت قد أعلنتْ ومُنع رفع الأعلام منعاً باتاً.

وقتها رحتُ أضحك مقهقهاً.

عندما شاهد النقيب حال السيارة ووضع (سيبل) وسردنا له ما حدث لنا قرر الإفراج عنا قائلاً: عودوا لمنزلكما حالاً..

وفعلنا...

○ ○ ○

■ ٤ ■

ماهية هذه الهجمات

كان الوضع مخيفاً على يسار جسر (أونكاباني) بما فيه من المحال التجارية والناس الموجودين هناك.

كانت الساعةُ قد تجاوزتِ الواحدة أو الثانية من تلك الليلة، لكنْ أعمال النهب لم تكن قد انتهتْ بعد. تحول المتظاهرون إلى وحوش كاسرة شيءٍ مخيف.. رأيتهم بأمِّ عيني وهم يحمون الأبواب الحديدية ويدخلون المحالَّ، يكسّرون ويحطمون كل ما يقع في أيديهم. ذلك لأنهم لا يستطيعون سرقتها مثال لذلك. لأنهم لا يستطيعون سرقة البراد أو آلة الخياطة أو الثلاجة وأخذها إلى منازلهم.. يحطمونها ويكسرونها بدلاً من سرقتها.

منصور المسكين الذي مسك بيده من ساعدي وبالأخرى ضغط على صدره وكان يتمتم: أنت بارتيلمي.. أنت بارتيلمي؟

عجبت كثيراً كيف ذكرته هذه الاصوات الحادة بليلة (سانت بارتيلمي).

بالفعل فإن أحداث ٦ ـ ٧ أيلول تشبه ليلة (سانت بارتيلمي)، تلك الليلة بدأت بأمر من شارل الرابع عشر ملك فرنسا عام ١٥٧٢ إذ أمر الكاثوليك بالهجوم على البروتستانت لقتلهم ونهب أموالهم وممتلكاتهم في /٢٤ آب/ من العام نفسه. وسُمّيتْ تلك الليلة المخيفة ليلة (سانت بارتيلمي).

أما أحداث ليلة ٦ ـ ٧ أيلول فكانت بأمر من الحزب الديمقراطي (D.p) والهدف كان اليونانيين في استانبول وأظن أن السبب الأهم ليس السرقة أو النهب أو السلب بل إظهار أن الرأي العام التركي متيقظ دائماً، وإظهار هذه النقطة للرأي العام العالمي... وتخطى الهجوم اليونانيين إلى الاقليات الأخرى (الارمن ـ اليهود) ونهبتْ بعض أموالهم.

استغرقنا ساعة كاملة بالنزول إلى جسر /أونكاباني/ وعندما وصلنا الجسر رأيناه مغلقاً من بعض الجنود التابعين لقيادة الأحكام العرفية التي حاولتْ قطع الاتصال بين ضاحية استانبول و(باي أوغلو) لذا أُغلقتْ الجسور على خليج البوسفور.

كان المرور يتم آنذاك بالزوارق الصغيرة... تجاوزت الساعة الثانية صباحاً ومع هذا كان الازدحام كبيراً والجميع يريد العبور إلى الناحية الثانية وإذا تمَّ نقل الازدحام بالزوارق سيستمر هذا طيلة اليوم دون أن ينتهي.

كانت الشمس تشرق على رؤوس أصحاب الزوارق والمواعين لأنهم يأخذون ما يحلو لهم من أجر... ومن المستحيل أن أركب ومنصور زورقاً وسط هذا الزحام القاتل... ولو كنت وحيداً لعشت أحداث تلك الليلة بأدق تفاصيلها لأنها ليلة تاريخية.

كنت أفكر بأطفالي واضعاً أسوأ الاحتمالات ـ ماذا سيحصل لو وجدوا عائلة من تلك الأقليات تسكن في بيتنا؟ ربما تعرضوا للهجوم؟ أو استيقظ الأولاد؟ كل هذه الأسئلة كانت تدور في رأسي، لكنني لم استطع ترك صديقي منصور قبل أن أوصله إلى منزله وهو على هذه الحال. ربما قلقتْ عليه زوجته كثيراً.

كانت الخامسة صباحاً عندما استطعت ومنصور أن نلقي بأنفسنا على أحد الزوارق مجتازين الخليج إلى الضفة الأخرى، لا يوجد سيارات

نركبها إلى منزل منصور، مشينا إلى أن وصلنا (أق سراي) ومنها إلى «كوسكا» و «باي أوغلو».وغضبُ المتظاهرين لم ينتهِ بعد.

صادفنا حادثاً مرعباً ونحن نصعد إلى (كوسكا) دخل بعضهم محلاً تجارياً بعد أن كسروا القفل بالقوة، حدث ذلك أمام أعين الجميع... المحل مخصص لبيع السكاكر والبن والشاي، بدأ ذلك بخلع الرفوف وتحطيمها وقذفها إلى الشارع.. سمعنا صوت تكسّر زجاج النوافذ في الطابق الثاني..

ثمة درج صغير يؤدي إلى الطابق الثاني وبدأت الأغراض تهوي إلى الشارع واحداً تلو الآخر. رموا أولاً براداً كبيراً تحطم على الرصيف.. ثم آلة خياطة هوت بعده.. صدرت أصوات مخيفة وأنين... لقد سقطتِ الآلة على رأس أحدهم.

أدخلتُ منصوراً إلى شقته في حي كوسكا ـ عمارة (حريق زادة)

تمدد الرجل بطوله وعرضه وراحت زوجته ناهدة تعطيه الدواء.

لم أعد أذكر إن كنت قد شربت الشاي أم لا؟ خرجتُ من البيت فشاهدت عدداً قليلاً من السيارات تجوب الشوارع... وقد انتهتْ أعمال السلب والنهب. اجتزت باي أوغلو مشياً على الأقدام. وكما تحدثتُ آنفاً فإن المآكل والأقمشة والأشياء الأخرى التي غُفستْ وتكدّستْ فوق بعضها في شوارع حي الاستقلال تفوق الثلاثين سنتمتراً.

لكن ما لفتَ انتباهي أكثر تراكم مجموعة كبيرة من الأحذية المتنوعة الألوان والأشكال الرجالية والنسائية والولادية (أبواط ـ صنادل، أحذية بلاستيكية) بعضها مثقوب النعل وبعضها مكسور الكعب... منظر مقرف مقزز وفوق ذلك رائحتها الكريهة التي اضطرتني إلى سد أنفي وقطع نَفَسي عند المرور بجانبها.

حسبت أن هذه الأكوام من الأحذية المتراكمة في الشارع للمتظاهرين، سقطتْ من أرجلهم أثناء جريهم هنا وهناك وهرباً من هذا وذاك. دهشتُ كثيراً لذكائي الحاد تلكم الليلة، لان الامور التافهة لا استطيع فهمها على حقيقتها (نقيض الآخرين) واستنتاجاتي تلك، ظهرت على غير حقيقتها...

كل تلك الاحذية المتراكمة المداسة جُمعت عندما كسر المتظاهرون باب حذّاء من الدرجة الممتازة وعندما وجدوا الأحذية الجديدة الجميلة أخذ كل منهم حذاء أو اثنين ورمى حذاءه القديم في ذلك المكان.

طبعاً سرقة البراد عمل صعب أما سرقة زوج من الأحذية فسهل للغاية.

كان المسؤول الأول والأخير عن كل هذه الأحداث (٦ ـ ٧ أيلول) المفجعة هو حزب D.P الحاكم آنذاك لإثارة الرأي العام ضد الأقلية اليونانية حتى لو نشبت معركة حقيقية، وليظهر للعالم بأن الرأي العام التركي على مستوى جيد من الوعي السياسي والاجتماعي.

لكنهم لم يريدوا أن تصل إلى ما وصلت إليه من السلب والنهب والجنون والتعصب، ولم تبدأ هذه الأعمال إلا بعد أنْ أفلتت زمام الأمور من أيدي الحكومة وقواتها الضاربة من البوليس والجندرمة والجنود.

والشيء الذي لم يحسبْ له الحزب حساباً، التغيير الذي حصل في القاعدة الاجتماعية العريضة وهذا ناتج عن السياسة الاقتصادية التي طبقتها، وأدّتْ إلى هجرة مواطني المناطق النائية إلى المدن وخاصة استانبول حيث بنيتْ الأحياء الشعبية على أطرافها.

كانت هذه الهجرة غير طبيعية لأن المدن كانت تسير بخطى سريعة نحو التنظيم الشامل.

حتى أن هذه الأحياء غير النظامية رُقعت بالمدينة وأحاطتها من معظم أطرافها. وعندما فتحت الحكومة ذراعيها لاستقبال أحداث تلك الليلة

وتحت أضوائها الكاشفة، بدأ شعب هذه الأحياء «الشعبية» بالصراخ «جزيرة قبرص تركية وستبقى تركية».

كل هذه الأعمال وما وصلت إليه من سلب ونهب وتحطيم وتخويف لم تكن تحمل صفة الامتحانية أبداً بل كانت هجومَ الفقر والتخلف.

لكن من أين نبع هذا الشعور الهجومي والتخريبي واللامسؤول عند هذا الشعب؟ حيث قطعت ومزقت مقاعد البواخر التي كانت تعمل داخل المدينة وخُرِّبت مقاعد الحافلات وكسِّرت زجاج نوافذ المنازل الخالية من السكان وأشعلت النار في حاويات وبراميل المهملات الموجودة في الشوارع وتحطمت أضواء أكشاك الهواتف حتى الهواتف نفسها.

كل هذه الشراسة والنزعة التخريبية اللامسؤولة من أين كانت تأتي؟

أعتقد أنني وجدت جواباً لهذه التساؤلات في كتاب «خوف في الرأسمالية» للكاتب «ديتر دوهوم».

وصلت إلى المنزل حوالي الساعة العاشرة. وكان الاولاد قد ذهبوا للمدرسة وعرفت من جارتنا أنهم لم يستيقظوا من نومهم.

كانت الشوارع قد نظفت وبدأت السيارات بالعمل. رجعت إلى «جاغالاغول» وباشرت عملي في دار للنشر وناقشت «زيا أورتاج» بأحداث تلك الليلة. كنت اريد أن أنهي أعمالي سريعاً كي أعود إلى أولادي باكراً.

○ ○ ○

■ ٥ ■

يا بنت سخرتي مني فلا تسخري من الآخرين

كانت الساعة تقارب الثالثة عصراً، عندما دخل إلى مكتبي رجل في غاية الاحترام والتقدير. إنه معاون المفتش في المخابرات السياسية (من الشعبة الأولى) طلب مني أن أرافقه إلى المديرية العامة لضرورة التحقيق معي لأمر غير مهم، أعرف طبيعة الذهاب إلى هناك جيداً ـ أعرف كيف يذهب لكن لا أحد يعرف كيف يعود منها.

في جيبي خمس ليرات أو أقل لست أدري.. أخذتها كحافز من المحاسب بالأمس (الخمس ليرات في عام ١٩٥٥ تساوي أكثر من خمسة آلاف في الحاضر) وليس من وسيلة لإرسال هذا المبلغ لأولادي.

ودعتُ يوسف زيا أورتاج والمحاسب أحمد وباقي الأصدقاء. لم يهتم أحد منهم بهذا الأمر.. كان الوضع عادياً بالنسبة لهم، وكما يقال في تركيا دائماً (كل غنمة معلقة بكرعوبها) ولتطبيق هذا المثل كان الناس يحبذون أن يكونوا أغناماً لا يفكرون أفضل من أن يكونوا بشراً يفكرون.

ذهبنا مشياً على الأقدام مع معاون المفتش (الذي يرتدي الزي المدني) كان حزيناً جداً... قال لي أنا حزين جداً من أجلك، لم أقل شيئاً ولا داعي ليسخر الرجل مني فهيئته لا تدل على ذلك... حتى أن بعض أصدقائي وجدوا الامان واللطف بهذا الإنسان عندما قبض عليهم.

عموماً.. كان أفراد تلك الشعبة (المخابرات السياسية) آنذاك غليظي القلب، قساة على الآخرين لإخفاء حقارتهم، وهذا الإنسان لا يشبههم.

سألته رغم أنني لا أريد التحدث معه:

ـ لماذا تأخذونني؟

ـ صدقاً لا أعلم.. قالوا لي بأنهم سيحققون معك.

صدقت عدم معرفته: لكنني كنت أخمن.. وأحاول جاهداً أن أتذكر الأعمال التي قمت بها قبل أيام والتي أدتْ لأخذي إلى فرع المخابرات السياسية لكنني لم أتذكر أي شيء مهم.

كنا نمر أمام مديرية التربية حين قال بعض الكلمات التي لا أستطيع أن أنساها طيلة حياتي.

قال لي بعد أن أخذ نَفَساً طويلاً: فعلتُ خيراً عندما لم أكمل تعليمي.

لم أفهم قصده. سألته باستغراب: ولماذا؟

أفرغ المسكين ما بأعماقه بكلمات قليلة: لو أكملت دراستي مثلك.. لكان أحد أفراد المخابرات السياسية يأخذني إلى الفرع كما آخذك الآن. كان يقول ذلك بحزن.. ليس مفرحاً أن تأخذ الناس إلى الفرع.

كنت أفهم جيداً ذلك المسكين وما يشعر به من أسى. وكان دائماً يحاول أن يُفهمني ذلك.

في ذلك الوقت كان الفرع في (السيركجي) في خان (سان ساريان).

صعدنا معاً إلى الطابق الثاني حيث مديرية الفرع الأول للمخابرات السياسية. تركوني في الصالون، هناك آخرون غيري بعضهم أعرفه والآخر لم أره أبداً. وكلٌ يسأل الآخر عن سبب مجيئه إلى هنا ولا أحد منا يعرف...

بعد قليل أتوا بكمال طاهر وغيره.

وضعونا جميعاً في سيارة مغلقة.. كنا سبعة أو ثمانية لست أدري.

كان كمال طاهر يحاول الظهور أمامنا بأنه مسرور لكثرة ما سجن قبل ذلك يمزح كثيراً. وبقي يدندن بأغنية طيلة وجودنا في السيارة. حتى وضعونا في الزنزانات.

الاغنية مصدرها منطقة البحر الأسود وتقول كلماتها:

يا بيوت جزيرة «غريسون»

لا تفرحي برياح الشمال

«غريسون» أيتها الجزيرة الغنية بقواربها البحرية

وبفتياتها الجميلات اللواتي يعملن

في زراعة وجني الفستق

«غريسون» يا رمز الحرية

o o o

٦

حادثة في الصحف

بعض الجرائد لعبتْ دوراً في إثارة الشغب بأحداث ٦ ـ ٧ أيلول.. في السادس من أيلول ـ يوم إلقاء القنبلة على منزل أتاتورك في سالونيك ـ أذيع خبر بالمذياع ضمن أخبار الساعة الواحدة..

بعد ثلاث ساعات فقط أنزلت صحيفة «استانبول اكسبرس» طبعتها الثانية ـ وكان صاحبها آنذاك أحد نواب الشعب من الحزب الديمقراطي وهو مدحت بيرين. وجاء الخبر في الجريدة على النحو التالي:

في الساعة الثالثة عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين قمنا باتصال مع السفارة التركية في أثينا ـ وكان السفير وقتها في لندن فاتصلنا بنائبه السيد ستار إلكال فلم نجده أيضاً. أخيراً اتصلنا بالعقيد /شكيب بيرن/ وهو الوحيد الموجود في السفارة ـ كرر لنا المعلومات التي أذاعها الراديو حول الحادثة بأن السفارة اتصلتْ بالقنصلية في سالونيك.

واستفسرنا منه عن ردود الفعل في أثينا، فأبلغنا: لا يسمح لي بإعطاء أية معلومات حول الموضوع.

صرَّح السيد (بهاء الدين أرتون) رئيس الاتحاد الوطني لطلبة تركيا، إن وضع حادثة القنبلة في الإبريق ربما كانت: الأمة التركية والشباب الأتراك صابرون ـ بشكل عام ـ لكنهم لن يترددوا في إعطاء الجواب الكافي وقطع الايدي التي تمتد إلى كل ما هو عزيز وغال من ممتلكات هذه الأمة والوطن ولن يتورعوا في الدفاع عنها.

قال السيد كامل أونال ـ السكرتير العام لجمعية قبرص التركية ـ «إن منظمتنا ستلقن الأيدي الممتدة إلى مقدساتنا الوطنية درساً لن تنساه مدى الدهر (سنرد الصاع صاعين) نعلنها على الملأ ـ إذ سمعنا بهذه الحادثة من الأذاعة قبل قليل».

○ ○ ○

ـ٧ـ

من جريدة الحريات ـ يوم ـ ٧ أيلول

كانت ردود الفعل كبيرة لدى المتظاهرين. حملوا الأعلام وصور أتاتورك كسروا الأبواب والزجاجات، ونادوا (قبرص جزيرة تركية وستبقى تركية) في الساعة السادسة والربع أنزلوا الأبواب الخارجية وكسروا زجاج المحال، رموا بيوت اليونانيين بالحجارة، وألقوا بأجراس كنائس الأرثوذكس على الأرض.. تكررت العمليات بنفس الوقت في جيهانفير، وتركيا شي، ويني شهير (المدينة الجديدة وكل الأحياء التي يعيش فيها اليونانيون.. والبضائع تحطم، وترمى إلى الشارع، وأحرقت كنيسة /آيا تريا/ في حي التقسيم. وازدادت الهجمات ضراوة في حي / كوم كابي/ وحي /باليكلي ويشكتاش/ و/دولابدري/ وفي /بقير كوي/ وخُرِّبت بيوت النساء ـ (الساقطات) اليونانيات في زقاق أبنوز، وأصبحت النساء مشردات في الشارع. بعد منتصف الليل تحول سماء المدينة إلى بقع حمراء من جرّاء حرق تسع وعشرين كنيسة وبيوت مختلفة في جميع الأحياء.

كانت الدبابات الثقيلة تهدر بأصواتها في جميع أرجاء المدينة، في الساحات والأحياء، وسيارات الإسعاف تنقل الجرحى إلى المستشفيات، وحسب آخر التقارير غير الرسمية فإن هناك أكثر من خمسين شخصاً كانت جروحهم بحالة خطرة وأكثر من /٥٠٠/ جريح جرحه بسيطة.

من جريدة اكسبرس يوم - ٧ - أيلول

«تعرض شخص، ويُعتقد بأنه يعمل محرراً في إحدى الصحف، لموت محقق، السبب لأنه لا يشبه الأتراك».

○ ○ ○

«٨»

من جريدة مليات ـ ٧ أيلول

حاصرت مجموعة من الجنود والشرطةِ القنصليةَ اليونانية والبطريركية في استانبول منعاً لهجوم المتظاهرين، في الساعة /التاسعة إلا ثلثاً/ كسرت مجموعة من المتظاهرين أبواب مكاتب الخطوط الجوية اليونانية ودخلوها عنوةً فتمزقت الرسوم واللوحات وتحطمت المكاتب، وأثناء خروج المتظاهرين أوقف شرطيٌ شابين منهم وقال لهما: قبلَ أن تخرجا من هنا حطما هذه الساعة المعلقة على الجدار، وبذا تكونا قد أديتما الواجب على أكمل وجه.

حديث الشرطي هذا أدى إلى زيادة حدة المظاهرة وقسوتها وإلى تصفيق حاد «حتى الجرائد اليونانية المنتشرة في استانبول تعرضتْ إلى التخريب والتمزيق. وبين الساعة الثامنة والتاسعة تعرضت أيضاً مكاتب الصحف اليونانية إلى التحطيم والتخريب والتشويه، وكذلك الجرائد الموجودة في منطقة النفق (آمبروس) وتاهيلا ريموس ـ وأمبوياماتين/ أما المحال التي أُحرقت وحطمتْ في حي التقسيم هي: محل فاكهاني لأحد اليونانين ـ وبقالية أنقرة وفندق البارك ومحلات بارك الجنوب (هاي لايف) الخ...

وفي باي أوغلو حُطمت حانات لشرب البيرة (فيلي ـ انجي ـ فرانكولي ـ بايلان ـ سماري ـ ميتدلو ـ سيليفيو ـ أوسب ـ داريو) وسينما ساراي وأتلنتيك، أضف إلى ذلك الاعتداءات التي تمّتْ في /قره كوي/ وأمين

أونو، وسيركجي، وكديك باشي، - جارشي كابي - وكوم كابي، وبوغاز... وتم الاعتداء على بيت البطريرك في /ترابيا/ وتخريب وتحطيم كافة الاستراحات التي تقدم الشراب في /أرناوط كوي/ و/سيري يرا/ ويني كوي وتوابعها.. في ليرد لم يبق شيء دون تحطيم وتخريب.

○ ○ ○

٩

من جريدة الحريات يوم ٧ أيلول

أُنزل العلم اليوناني عن العمود الكائن في حي العمارة حول المعرض حيث مُزق شر تمزيق ثم أُحرق، وتم إحراق القنصلية اليونانية وإحدى المحلات اليونانية (بامنيون) حرقاً كاملاً، وأغرق زورقان يونانيان في الميناء، وأُحرقت كنيسة يونانية أيضاً.

في اليوم التالي كانت التفاصيل ترد تباعاً للمراكز الرسمية.

كانت الاحصائيات على النحو التالي: تم تخريب خمسة عشر منزلاً وخمسة محال تجارية وفندق واحد والمكتب التابع للمركز الثقافي الانكليزي الموجود في بناية لأحد الأطباء اليونانيين في حي /بورنافا/، كذلك تمّ تحطيم ثلاث حافلات وشاحنتين.

تقدر الخسائر المادية بأكثر من مليوني ليرة تركية (طبعاً عام ١٩٥٥).

وهاجم المتظاهرون أيضاً الضباط اليونانيين المتواجدين في مركز حلف الأطلسي (ناتو) وخاصة منزل مقدم يوناني، حيث تم تخريبه وجرح المقدم اليوناني في جبهته جرحاً بسيطاً وعُذبت زوجته تعذيباً شديداً من قبل المتظاهرين.

من جريدة الحريات يوم ٨ أيلول

حريات.. هاجم المتظاهرون مشفىً يونانياً في /باليقلي/ وأشعلوا النارَ فيه، وهوجم قسيس من شخص مجهول حيث ضرب القسيس ضرباً مبرحاً وجرح جرحاً بليغاً في الكنيسة التابعة للمشفى... وتمت معالجته

فوراً في المشفى. ولا يزال البحث مستمراً عن الشخص المجهول.

من جريدة اكسبرس (الطبعة الثانية) يوم ٨ أيلول

انتحر صاحب إحدى الشركات التي أُحرقت في حي /باي أوغلو/

من جريدة مليات يوم ٨ أيلول

إعدام أحد الأشخاص غير المؤديين، ضرباً.

تم إعدام شخص يوناني ـ ضرباًـ أمام الجامع الجديد، عندما حاول تمزيق علم تركي بيده، وعندما شاهده الناس هناك وهو يقوم بفعلته النكراء هجموا عليه بالضرب واللكم حتى وقع ميتاً على رأسه.

وقع الحادث في الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين.

وجاء بنفس العدد، الإعلان عن واحد وستين حريقاً.

من جريدة الحريات يوم ٩ أيلول

توفيتْ أمس امرأة مسنّة عمرها سبعة وسبعين عاماً تسمى /أولغا كيمياديس/، بعد أن أغمي عليها من الخوف من جرّاء المظاهرات وكانت قد وُضِعتْ في المشفى الفرنسي وتوفيتْ فيما بعد.

ooo

١٠

إحداث دار الفكر للنشر

جاؤوا بنا إلى سجن الحربية، وهذا المكان ليس سجناً بالأصل بل مركز اعتقال أكثر مما هو سجن ـ كل شروطه الحياتية أقسى من السجن. كان هذا المعتقل العسكري الذي وضعونا فيه مطعماً أثناء وجودي في الكلية الحربية السنة الأولى. هذا المطعم الجديد أصبح خراباً.

بنوا على طول جدرانه حجرات صغيرة لا يتجاوز عرضها قبور الأغنياء، لكن سقفه كان عالياً، في وسط السقف كانت (لمبة) صغيرة مضيئة باهتة كعيون الأموات ـ ربما بعشر شمعات فقط ـ لكن وجود شبكة من الأسلاك حولها وتراكم الغبار يوماً بعد يوم. حَوْلَ الشبكة، وخيوط العنكبوت المتدلية الكثيفة أضعفت من قوة تلك الشمعات العشر إلى أكثر من النصف.

في البداية وضعوا في كل حجرة شخصاً، لكن عندما ألقوا القبض على غيرنا وأتوا بهم إلينا... لم يبق مكاناً في الحجرات، حشروا في كل حجرة شخصين.. كنت مع كمال طاهر في حجرة واحدة.. كنا لا نحمل محفظة أو غطاءً أو فرشة، أو معطفاً لأنهم أتوا بنا بحجة أنهم سيسألوننا بعض الأسئلة فقط ونعود إلى منازلنا.

أحضروا بعضنا من منازلهم والآخرين من مكان عملهم ومن أي مكان وجدوهم فيه، كانت أرض الغرفة من /البيتون/ الخشن جداً وقذرة جداً.

كنا شخصين في الحجرة على اساس أنها مضاءة بتلك اللمبة العمياء... والساعات تمرّ ولا مكان نجلس فيه أو ننام.

طلبنا صفحة من جريدة نفرشها تحتنا على الأقل... لكنهم ادعوا بأن إدخال الجريدة إلى الحجرة ممنوع. نمنا متأخرين، كانت الحجرة ضيقة جداً حين تمددنا على ظهورنا كانت رجلي على رأس كمال ورجل كمال على رأسي، ثمة /طاقة/ مربعة بعرض شبر على باب الحجرة، تفتح وتغلق للمراقبين من الخارج، وبين وقت وآخر كان العسكري المناوب يفتح الطاقة ويلقي نظرة علينا ليتأكد من وجودنا خشية أن نطير أو نختفي عن الأنظار فجأة.

كأنه بعمله هذا يحاول إزاحة الغضب من داخله بأن يتسلى، والشيء الثاني لإظهار شخصيته وعنهجيته لنا وللآخرين في بقية الحجرات.

في الليلة التالية لأحداث ٦ ـ ٧ أيلول علمنا اننا أدخلنا إلى هنا بتهمة أننا المسؤولون عن تلك الأحداث، كيف علمنا؟ لست أدري.. لا أذكر الآن لأنه لم يبلغنا أحد رسمياً، ولم نقابل أحداً من المسؤولين الرسميين. إن إلقاء القبض علينا بهذه التهمة من قبل المسؤولين يوضح مقدار عجزهم وجنونهم، ويجب أن يكونوا أكثر جنوناً بعد كل ما حصل في استانبول من التهديم والتحطيم والحرق والتخريب.

كنت أفكر بأطفالي بشكل دائم لأنني تركتهم دون مال أو معيل، وليس لدي أية وسيلة أو أمل لمساعدتهم بأي شكل من الأشكال.

نمتُ في سجون كثيرة، والذين كانوا معي يعرفون بأنني أملك القدرة على تحمل ظروف أقسى من ظروف هذا المعتقل. بعضهم ينهار خلال مدة قصيرة من وجودهم في السجن، لكنني شخصياً لم أهزم للحظة واحدة، وقد اعتقلت في سجون شروطها أقسى بكثير من هذا المعتقل.

والحال هذه كيف حصل ما حصل؟ بليلة واحدة أحسست بالانهيار قبل الفجر، هذا التغيير الذي حصل ربما نفسياً، ومن الصعب أن أوضح ما حصل، وسأحاول جاداً توضيحه: ما السبب في ذلك التغيير؟ ربما ستدهشون، كنت أحس بكافة الوجوه من حولي بنفس اللحظة.. الحجرة ذات أربعة جدران وسقف وأرض ـ علبة ذات ستة وجوه كالمكعب.. عند الصباح أحسست بوجوهها الستة دفعة واحدة.. كيف؟

وأنا نائم على ظهري كان السقف مقابل وجهي وبنفس اللحظة الجدار الأمامي والخلفي وكل أطراف الغرفة التي أراها جميعاً.. حتى أرض الغرفة أحسها بأصابعي عن طريق اللمس ـ رجاءً حاولوا تجريب هذا الإحساس وهذا العمل وبذلك ربما عرفتم لماذا تغيرتُ وانهرتّ؟

ولماذا أحسستُ بإحساسي هذا؟ أن تحس بالوجوه الستة في غرفة دفعة واحدة. تعرف حجم العذاب الذي يعانيه المرء.

لقد تغيرتُ وتعذبتُ، لكن ماذا فعلت؟ لا شيء...

قلت في نفسي هيا يا عزيز: تعال تحملْ.. تعوّدْ.

وعندما أشرقتِ الشمس قصصتُ لطاهر ما جرى لي.

قال: لو نمتَ وحيداً في هذه الحجرة لما أصابك هذا.. لكن سنعتاد

قلت: بالتأكيد سنعتاد.

كنت أعرف كمال طاهر معرفة سطحية قبل مجيئنا إلى هنا، لم تكن تربطنا صداقة حميمة، لكن صداقتنا الحقيقية بدأت هنا، ومن هنا أيضاً بدأ عدم فهم بعضنا وخلافنا مع بعض.

دام ذلك /صداقتنا وخلافنا/ حتى وفاته. كنتُ أختلف معه في أمور كثيرة وكنا أصدقاء في الوقت ذاته. أحببته كثيراً وأنا على ثقة تامة بأنه كان يحبني حباً جماً. وحبه لي لم يمنعه من التهجم علي /من الوراء/، ربما

كانت صفة من صفاته الشخصية وهذا ما وجب قوله. وإذا كتبتُ في المستقبل سيكون لكمال الحيّز الكبير في الكتاب الذي بدأته (الذين متُّ معهم).

الحياة من جهة والمصادفات من جهة ثانية كانت تشدنا أنا و«ميرال» عنوة إلى الزواج.

بالرغم من اتفاقنا على الزواج فإن أحداث ٦ـ ٧ إيلول قد أخذت منا ما كان ضرورياً أن نفعل قبل الزواج ـ أي دخولي السجن أضاع علينا فرصة التقارب الحقيقية، وفهم بعضنا بشكل واضح، ومعرفة الجوانب السلبية والإيجابية لدى كل منا. تلك الفتاة التي أتفقتُ معها على الزواج تصغرني بتسعة عشر عاماً وقفت إلى جانبي وجانب أولادي عندما كنت في المعتقل، لقد استقرت في منزلي وأخذت بيدْ أولادي في الوقت المناسب.

من السهل على الإنسان أن يتحدث عن ايجابيات شخص ما وهذا يفرحه.

لكن عندما تتكلم عن إنسان سيء.. صعب للغاية خاصة عندما تكتب عنه شخصياً. عشت وعايشت وما أزال أعيش هذا الإحساس بصعوبة كوني كاتباً. وأريد الآن ـ وأنا أشعر بالسرور ـ أن أتحدث عن الصفات المميزة فيها... كانت ميرال ـ حقيقة ـ امرأة شابة وكان لا بد لها أن تتزوج وهذا سيؤدي إلى زيادة المصاريف... كنت أمرّ بضائقة مادّية شديدة.

كنت أكتب في جريدة (أق بابا) وجريدتين غيرها، وأقبض اسبوعياً من ٧٠ ـ ٨٠ ليرة فقط.

بالرغم من ذلك كان بيتي فارغاً من الأثاث، مثلاً لا أملك براداً ولا آلة خياطة ولا غرفة نوم ولا أي شيء. فكان علي أن أبحث عن مورد آخر،

فكرت بذلك طويلاً وأنا في السجن قضيت الأيام والليالي.. ماذا أستطيع أن أفعل؟

أستطيع أن أصدر مجلة، لكنّ الحكومات المتتابعة كانت تقف بالمرصاد. والنهاية هي السجن في كل الأحوال. الجميع يقف ضدي...

الناشرون ودور النشر المعروفة لا يرضى أحدهم بطبع كتبي أو نشرها. وكنت واثقاً من النجاح والمال الوفير لو أنها نشرتْ ووزعتْ...

بعد تفكير طويل وصلت إلى قناعة: أنْ أفتح داراً للنشر، لنشر كتبي فقط لكن هذا يتطلب المال الكثير ـ ولم أكن أحتاج إلى مال لأن رأسمالي هو ثقة الآخرين بي وهذه هي فرصة كبيرة لي... فالمجلات والجرائد الأسبوعية التي أصدرتها قبل ذلك بالقروض سددت من وارداتها ديوني ولم يتبقَ لأحد عليّ دين وكان باستطاعتي أخذ قرض من دور النشر وتجار الورق لنشر ثلاثة أو أربعة كتب.

كاتب واحد وهو أحمد مدحت أفندي، فتح داراً للنشر قبل إعلان الجمهورية إذ كنت أول كاتب يفتح داراً للنشر، والذي دفعني لهذا عدم رغبة دور النشر بنشر كتبي وتوزيعها.

بعض المصادفات في حياة الإنسان تغير مسير حياته بشكل عجيب ومدهش، وهذه المصادفات الثلاث أدّت إلى تغيير نمط حياتي في هذه الفترة وهي:

أولاً التقائي مع كمال طاهر في السجن وبغرفة واحدة. والثانية أوصلتني إلى قناعة بافتتاح دار لنشر كتبي. والثالثة الاقتراح الذي قدّمه كمال طاهر لي أثناء وجودي في السجن. وهذه المصادفات أدت إلى التغيير الذي طرأ على حياتي.

كان اقتراح كمال طاهر كالآتي: إنه يملك بيتاً من ثلاثة طوابق خشبية

في الزاوية اليمينية من حي /بوظ دوغان/ مع أخويه، نوري وراتب، وقد عرضوا البيت للبيع، إلا أنّ رئيس الوزراء آنذاك السيد عدنان مندريس كان قد استملك جميع البيوت الواقعة على أطراف الشارع لتحسينه.

وربما هي الخدمة الوحيدة التي قدّمها للشعب.

وكان الإخوة يعرفون أنهم لن يقدروا على وقف الاستملاك، لذا عرضوا البيت للبيع قبل تطبيق القانون، ومع هذا كانوا سيقبضون أموالاً كثيرة في حال تطبيق الاستملاك على المنزل، كان كمال يريد أن يشاركني في تمويل دار نشر من نصيبه من بيع المنزل، وهذا اقتراحه الذي قدمه في السجن. أنا أيضاً كنت أفكر بذلك وأتخيل، ولم أقل لكمال طاهر ذلك، أو إننا سنحتاج إلى المال أثناء القيام بالمشروع ـ المشكلة ليست هنا ـ بقيت أكتم هذا السر ـ حول المال ـ إلى أن بدأنا المشروع فقلت لكمال: اقتراحك جميل جداً لكن أنا لا أملك مالاً لأشاركك.

قال متعجباً: عن أي رأس مال تتحدث ـ ألن أحصل على المال بعد بيع المنزل سنقوم بهذا العمل معاً.

كان موقفاً رجولياً وشهما، والقرار الذي اتخذته في قرارة نفسي كان كالتالي: كنت سأشارك كمال طاهر في مشروعي عن طريق القروض التي سأقترضها، لكن كمال كان يفكر بطريقة أخرى وهي بعد أن يبيع البيت سيأتي ويقول: (تعال يا عزيز المال بين أيدينا ونستطيع الآن القيام بالعمل معاً). حتى لو كان هذا القرار من صنع خيالنا فإنني لا أستطيع نسيان جميله أبداً ولن أستطيع أن أبقى تحت سلطانه.

كيف سأشاركه في المشروع دون أن آخذ منه قرشاً واحداً؟

(لكن حساب السوق لم يطابق حساب الصندوق) كان لا بد أن أفهم وبمرارة بأن ما تخيلته عن بناء هذا المشروع دون رأس مال في عام ١٩٧٥، كان تطبيقه صعباً للغاية، والحقيقة عكس ما تصورته تماماً.

القراء الذين عرفوا قصة حياتي في الماضي والذين سيقرؤونها في المستقبل سيعرفون أن هناك قوى خارجية أثرت وبشدة في تغيير نمط حياتي، إحدى هذه القوى مساعدة لي، وكثيرون هم الذين مدوا يد المساعدة وأسدوا لي معروفاً كبيراً.

لا أنكر ذلك وأنا شخصياً لا أستطيع نسيان معروف /حتى لو كان تافهاً/ قدمه أحدهم لي، وأحاول أن أرد الجميل بأجمل يعني الحسنة بعشرة امثالها. لم أكتب هذه الكلمات لأمدح نفسي لكنني كتبتها مجبراً كي أوضح لكم شخصيتي لأنني وضعت نفسي في مأزق كبير جداً عندما أردت أن أرد معروفاً لإنسان أطعمني في وقت كنت فيه بحاجة إلى الطعام.

كمال طاهر لم يعطني مالاً ولم يكن في نيته أن يعطي.. لكنه وعدني، وقد كلفني الردّ على هذا الوعد الشيء الكثير، لن أوضح ذلك الآن كيلا أقطع التسلسل الزمني للأحداث سأشرح ذلك في تاريخ افتتاح دار النشر.

كنت أحس وكأنني قد قمت بهذا المشروع فعلاً لكثرة مناقشتنا له أنا وكمال طاهر، وذلك ناتج عن تطرفي الفكري الذي كنت أعاني منه، ولكثرة ما فكرت بالموضوع فقد قررت أن أضع اسم الدار (دار الفكر للنشر)، لم أذكر لكمال طاهر هذا الاسم كوننا لم نكن شريكين بعد. لكن قلت بما معناه، سنقوم بهذا المشروع دون اللجوء إلى مالِك.

وعندما سنخرج من السجن سيكون كل شيء مفاجأة لكمال طاهر. هذه هي قصة إحداث دار الفكر للنشر.

○ ○ ○

١١

زميل من زملاء الابتدائية

في الليلة الثانية، أذنوا لنا بجلب بضع صفحات من الجرائد لننشرها تحتنا وقت النوم والجلوس. طبعاً دفعنا لهم ثمن تلك الصفحات القليلة المأخوذة من أعداد قديمة. عند المساء أحضروا لنا الجرائد.. كانت تواريخها كانت قديمة جداً، لأن قراءة الجرائد ممنوعة، وكل واحد منا نشر تحته صفحتين أو ثلاث.

يجب على الإنسان ألا يدع الضحك والإحساس بالضحك في كل الشروط الصعبة والسهلة على السواء.

كل من يريد الذهاب إلى المرحاض كان يجب عليه أن يضرب الباب بقوة وينادي للعسكري المناوب، فيأتي ويأخذه لقضاء حاجته. وينتظره عند الباب وبعد الانتهاء يعيده إلى زنزانته وفي بعض الأحيان كان العساكر لا يتذكرون أرقام زنزانات الخارجين، فيعيدونهم إلى زنازن أخرى، وهناك يغضب الشخص لأول مرة ويطالب بالعودة إلى زنزانته الأصلية وزميله هناك. والطريقة الوحيدة للرجوع هي نفس طريقة الخروج. يضرب الباب طالباً الذهاب إلى الحمام ومن ثم يعود إلى زنزانته الأولى.

هذه الحوادث كانت تتكرر في اليوم عدة مرات، وقد غيّرت إلى حد ما شيئاً من مسيرة حياتنا وأصبحت نوعاً من التسلية والمناقشات دون أن يكون لها هدف. وأريد أن أضيف، أنا شخصياً لم أذهب إلى أية زنزانة أخرى /عن طريق الكذب/ وهذه العملية كان لها جوانبها السلبية أيضاً،

إذ كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى غضب العسكري المناوب ـ إذ كان في كل مرة يفتح الكوى الصغيرة ليلقي نظرة داخل الزنزانة ليؤكد حضوره وفوقيته على الموجودين فيها. وكان لا يجد إلا شخصاً واحداً والطبيعي أن يكون فيها اثنان فيصيح بأعلى صوته على الشخص الآخر منادياً إياه برقم زنزانته.

ـ ولاه ـ ولك الرقم ٧ ماذا جرى له؟ إلى أين يذهب؟

أين أنت يا رقم سبعة.

كان هذا مايحصل كل يوم مرتين أو ثلاث.

في أحد الأيام بدأ العسكري المناوب بالصراخ.. كان قاسياً عكس زملائه راح يشتم ويلعن بقوة.

ـ ولك من هذا الحيوان الذي في الزنزانة رقم ٨.

كان المسؤول الأول /من بين ثلاثة/ عن أحداث ٦ ـ ٧ إيلول، الذي أمر باعتقالنا ووضعنا في هذا السجن آنذاك وزير الداخلية المدعو /ناميق كديك/ لولاه لما جرت أحداث ٦ ـ ٧ أيلول ولا تمّ اعتقال أحد منا.

كان العسكري المناوب يصرخ:

ـ من الذي في الرقم ٨؟

تذكرت ذلك الإنسان مباشرة.. فناديت من زنزانتي

ـ الذي في الرقم ٨ هو ناميق كديك.. ناميق كديك

بدأ العسكري المناوب يصرخ ويدور

ولك ناميق كديك.. أين أنت ولك.

كان يسبّ ويصرخ ويشتم والضحكات العالية تخرج عالياً من الزنزانات بنفس اللحظة دخل مدير السجن علينا.. عرفناه من صوته ـ وهو برتبة عقيد واسمه مظفر.

صرخ في وجه العسكري:

ـ تقول من؟ ماذا تقول ولك؟ أي ناميق كديك هذا!

كان العقيد زميل دراستي في الصف الثالث في مدرسة السلطان سليمان القانوني الابتدائية.

كان ذلك قبل ثلاثين عاماً وقت كان الأتراك لم يعرفوا فيه الأحياء الشعبية بعد. وأكثر فقراء استانبول آنذاك كانوا يعيشون في المدارس ـ وزميلي مظفر هذا كان يعيش مع أمه وأبيه وأخيه في مدرسة جامع السليمانية المقابل لمدرستنا، كان ولداً مهملاً وكسولاً، وربما هذا عائد لشدة فقره وسوء الحياة القاسية التي كان يعانيها.

كان في صفنا آنذاك ولدان كريهان.. /يمخطان دائماً/ أنفهما يفرز مخاطاً على الدوام، لا أحد يقترب منهما أو يحادثهما أبداً. أحدهم المرحوم صالح /مات/ وهو ضابط متقاعد.

والآخر هو مظفر هذا، كنت وقتها قد صادقتهما كونهما لا يملكان أصدقاء مثل الآخرين.

وكنت قد ذهبت إلى بيت مظفر وهو غرفة واحدة. لم أكن أنظر إلى وجهيهما أبداً لأنني كنت أشعر بالإشمئزاز والغثيان من ذلك السائل الذي كان يتوضع فوق شفتيهما من الأعلى.ذلك السائل الأصفر المائل إلى الإخضرار، الذي كان يسحب اتوماتيكياً في كل لحظة.

ولايلبث أن يسيل من أنفيهما ويتوضع على الشفتين.

لم ألتق مع مظفر بعد مرور كل هذا الوقت الطويل، ولم يفعل كبقية الزملاء في تلك الفترة و الذين تهربوا من التعرف علي، أو تظاهروا بأنهم لايعرفونني.

مظفر / على العكس من ذلك / تعرف علي لكنه لم يقترب مني وهذا

طبيعي جداً، وبعد أن تقاعد من عمله، كنا نلتقي بين وقت وآخر.. لأننا نقطن في حي واحد.

أحياناً كنت ألتقي به في الحافلة أو على الرصيف ونتحدث لفترة قصيرة.حتى أنني دعوته مرة إلى منزلي وأنا على يقين تام بأنه لن يأتي.

أقول ربما أخطأ في قراءة أفكاري.. أقول ذلك بعد أن لاحظت تصرفاته في السجن أو في حياته الاجتماعية العادية.لأن أكثر الناس يخجلون من فقرهم وحياتهم الماضية.. نعم يخجل بعضهم من الأحداث التي تمجدهم، وبعضهم يمدحون أنفسهم من أحداث تخجلهم، هكذا كان مظفر يخجل من حياته التي عاشها قبل ثلاثين عاماً، ولايحب أن يقابل أصدقاء تلك الفترة.

كان رأس أنفه (المدعبل) الكبير قد أحمر وربما أصبح...

○ ○ ○

- ١٢ -

صندوق بريد ٦٩

ماذا جرى لأولادي؟ لو أعرف أنهم في أمان وتمت حمايتهم من أحد لكنت سعيداً حتى في هذه الزنزانة!

كنت أفكر بأشياء أخرى خارج هذا السجن.ومنها مسلسل روائي بعنوان (صندوق بريد ٦٩) أنشره في مجلة /آق بابا/.

كنت قد كتبت أكثر من نصفه، وأجهز كل أسبوع حلقة لتنشر في المجلة.إياكم أن تقولوا هكذا روايات لاتكتب.. أنا الذي أعرف ذلك جيداً. ماذا يكتب وماذا لايكتب؟ كان لابد لي أن أكتبَ من أجل لقمة العيش. وأن أكتب بكثرة وبأسعار قليلة، كنت أفكر بهذا العمل كثيراً أي.. (صندوق بريد ٦٩) لكن لم أعلم عنه شيئاً إلا بعد خروجي من السجن.

كان السيد يوسف زيا أوتاج قد كلف السيد ظهير غوفملي بكتابة الرواية على حلقات.. فأنهاها حسب مزاجه بعد أن قرأ الحلقات التي كنت قد كتبتها قبل دخولي السجن، لم أعد أذكر طبيعة موضوع الرواية وأهدافها. بالتأكيد كانت تنشر بإسم مستعار على غرار أعمالي الأخرى. ولا أعتقد بأنه أثر قيم. فهي رواية من بين مئات الروايات التي بقيت على صفحات الجرائد والمجلات عاماً بعد عام.

والذي أخشاه أن تجمع هذه الروايات في كتب وتطبع بعد أن أموت. مثلما فعلوا برواية ناظم حكمت التي كانت تنشر عل حلقات في جريدة

(البريد الأخير) والمسماة (لايستطيع الدم أن يتكلم) والتي بقيت ناقصة بعد أن مات ناظم قبل أن يكملها، وطبعت في كتاب تحت هذا العنوان ونشرت، كان ناظم قد أطلعني على نهاية الرواية والتي أكملتْ بعد ذلك من قبل /ناجي سعد الله دانيش/.

إذا تعرّض الكاتب لتهمة باطلة كيف يزيلها عن كاهله.. أعتقد أن هناك طريقة واحدة وهي الكتابة.. أن يكتب أكثر، وأنا شخصياً أعتبر نفسي من الكتاب المحظوظين.

عندما أدخلت السجن بتهمة أنني من المحرضين والناهبين والموجهين في أحداث ٦ـ ٧ أيلول وهي تهمة زور وباطلة. كان عليّ ألاّ أرزح لهذه التهمة، وكان عليّ أن أكتب، فقررت أن أكتب روايةً، وأنا داخل السجن، فكرت كثيراً عن ماذا سأكتب، لم يكن يسمح لنا بإدخال الجرائد فكيف القلم والورق؟ فكرتُ بالرواية جيداً وبشخصياتها توصلت أخيراً إلى رسم رواية رديئة جداً.

هذه الرواية كانت تشبه إلى حد ما قصة /كرم واصلي/ الشعبية المشهورة. كرم يحب بنت القسيس الأرمني الأصل. أما روايتي فكانت ستصبح هكذا. سيقع أحد أبناء المسؤولين الكبار في غرام إحدى اليونانيات الاستانبوليات أو العكس تقع إحدى بنات المسؤولين الكبار في حب أحد الشبان اليونانيين في استانبول.

هذا هو الموضوع الأصلي للرواية.. وعندما تأتي أحداث ٦ ـ ٧ أيلول المفجعة، عندها يقع المحبّان في المشكلة... ثم النهاية. هذا ملخص قصير عن المخطط الصغير وكما رأيتم إنه تخيل لرواية سيئة جداً.

ولماذا هي رديئة؟ لأننا نكتب في نفس المرحلة التابعة للأحداث، والكاتب هو المشحون بها لا يجوز أن تكتب رواية حول حدث ما، إلا بعد مرور وقت طويل لهذه الحادثة كي تظل الرواية غير مرتبطة بالعاطفة

والأنانية والتطرف.. كنت أستطيع أن أكتبها شعراً والشعر ما كان الأنسب..

يجب على الكاتب أن يكون بعيد النظر أثناء الكتابة عن حدث ما، وأن يركز على الموضوع والهدف ببرودة الناظر من البعيد وليس بحرارة الجالس قرب النار.

مايك هامرلر:

أعتقدُ أن كمال طاهر قد غير زنزانته بعد خمسة عشر يوماً، ذهب إلى الزنزانة التي تضم (حسام الدين اوز دوغرو) قريب زوجته السيدة سميحة لأن طعامهما يأتيهما معاً كونهما من عائلة واحدة.

إن كمال طاهر من الذين يفكرون بصوت عالٍ، وهناك آخرون يفكرون بصوت عالٍ إلى حد ما، ولكنني لم أجد ولم أرَ أحداً من نوعية كمال طاهر بطريقة تفكيره هذه كل من يسمعه يظنه يتحدث أو يتناقش ولكن لا.. هو لا يتحدث ولا يتناقش يفكر كأنه يتحدث وفي نفس الوقت يُدخل الآخرين في فكرته أو في مجال تفكيره.

هذا لا يسمى التفكير بصوت عالٍ والأصح أن يسمى التفكير بالصراخ. إن كمال طاهر عكس ما يظنه الآخرون محاوراً ومجادلاً في كل الأمور لكنه إنسان مونولوجي خرافي التفكير، إنسان عملي ومفكر أينما حل وكيفما ذهب، يفكر بالصراخ ويحاور بالصراخ على طاولة الشراب، في الطريق، في الزيارات، في المنزل، في كل مكان، يفكر وكأنه يحاور الآخرين ويناقشهم.

إنه مفكر عملي دائماً، إن تفكيره وهو يصرخ كانت نزعته دائماً في كل مكان أما آلته الحية التي تساعده في عملية التفكير بالصراخ فهي ضيوفه الجالسون على مائدته ورفاقه الملازمين له، وكل من كان معه وهم في الوقت نفسه المسببون لفكره والوسيلة لذلك، وكلما فكرّ صارخاً تتسع

دائرة تفكيره، تكبر، تتغير. وتكون مساعدة الآخرين له في عمليات التأييد والمعارضة والتكرار.

كان خلافي الأول مع كمال طاهر بعد خروجه من زنزانتي بخمسة عشرَ يوماً تقريباً عندما كنت أتعب من الكتابة، كنت أخرج لبعض الوقت إلى الصالون وأعود إلى عملي /الكتابة/. في الخارج كان كمال يفكر صارخاً بحيث كان صوته يسمع في كل أرجاء الصالة.. ذهبت مع عشرة أشخاص أو أكثر لم أعد أذكر منهم سوى: /عاصم بازرجي - ووالي - كان موضوع المناقشة مسلسل كتب مايك هافر - مؤلفه كاتب عادي من الكتاب الأمريكيين اسمه /فيكي سيلانا/ كان قد نشر سبعة كتب بوليسية بشكل حلقات تحت اسم /مايك هامّر/ أصبحت هذه السلسلة من الكتب رائجة إذ حطمت الأرقام القياسية في مبيعاتها وكان كمال طاهر قد قام بترجمة هذه الكتب عن اللغة الفرنسية باسم مستعار /FM/ وعندما بيعت هذه الكتب في تركيا - وبشكل كبير- طلب الناشر منه أن يكتب ملحقاً لهذه السلسلة، فما كان من كمال إلا أن كتب عدة حلقات قال بأنها كتباً مترجمة تحت اسمه المستعار الثاني - **FM** - فأصبح عدد حلقات مايك هافر، بهمّة كمال طاهر، أكثر من خمسة عشر كتاباً وفي الحقيقة كانت سبعة كتب فقط. والدار التي كانت تنشر هذه الكتب وقتها دار / جاغلايان/ وكانت مرابح هذه الدار باهظة بحيث دعا كتّاباً آخرين إلى كتابة أجزاء منه على أنها مترجمة.

كان الرفاق في السجن ينتقدون كمال لقيامه بترجمة مايك هامر الضارّة، ولكونه قد قام بكتابة حلقات كثيرة على نمط تلك - ولم تكفه الترجمة بل قام بإنتاج مشابه، كانت انتقاداتهم عادية لطيفة لكن كمال طاهر كان متأثر جداً - يصرخ من الغضب -

قبل كل شيء أريد إبداء رأيي الشخصي حول الموضوع. شخصياً،

أؤيّد فكرة أن كاتباً كبيراً ثورياً تقدّمياً ككمال طاهر يضع كل جهده بترجمة وكتابة مثل هذا المسلسل الضار ـ وقد سجن ثلاثة عشر عاماً لأنه ماركسي ـ وهذا ليس عتاباً له ـ بل للذين يدعون كاتباً كبيراً ككمال طاهر ليقوم بمثل هذه الكتابة من أجل لقمة العيش.

كان تفكير كمال عكس تفكيرنا، يصرخ بصوت عال: إن حلقات مايك هامّر مفيدة جداً لأنها تضع أمام شعبنا طبيعة المجتمع الأمريكي المتعفن من كافة جوانبه الاجتماعية.

قلتُ: هل يفهم القرّاء من مايك هامّر المجتمع الامبريالي المتعفن أم إنهم يرون الجنس والعنف والدهشة فيها؟ لو انك استطعت إفهام القارئ انهيار المجتمع الامبريالي، أو فهمها القارئ كما أردتَ أنت ففي هذه الحال أنت محقّ. وأنا لا أعتقد هذا، فلو كانت قراءة مايك هامر توضّح تعفن المجتمع الامريكي لما بيعت هكذا ولما طبعت عدة مرات. كان كمال يحاول بقوة إفهام الآخرين أن ترجمة وكتابة /مايك هامر/ عمل ثوري بالدرجة الأولى.

قلت له: أنا لا أقوّم كاتباً من هذا المنحى وليس لأحد الحق في ذلك، ولو أنّ المجتمع طلب منك أعمالاً خاصة بك لما حاولتَ تقليد مايك هامر ولكنت قدمّت آثارك أولاً، ثم إننا جميعاً نُجبر ـ في بعض الأحيان ـ على كتابة أشياء لا نريدها وذلك من أجل لقمة العيش.

كنت قد قلت جملتي الأخيرة لتلطيف حرارة النقاش قليلاً، لكنها أغضبت كمال بشدة و... كان يصرخ، وعند كل صرخة كانت شرايين رقبته تنتفخ.

عرفت أنّ المناقشة مع كمال طاهر أمر مفروغ منه، ومن المستحيل التفاهم معه كان هذا خلافنا الأول ـ ودام طوال عمرنا.

عدتُ إلى زنزانتي وبدأت أعمل. كنت قد فهمت كمال طاهر فهماً

كاملاً وبقي طيلة حياته يناقشني بشكل هادئ ولطيف - عكس نقاشاته مع الآخرين - إذ تبدأ وتنتهي بالصراخ والعياط.

لستُ أدري كيف بقيت صديقاً لكمال طاهر الذي اختلفت معه في أمور كثيرة؟ كيف ولماذا أحببته؟ إن الجواب يتجاوز حدود هذه النقطة التي أنا بصددها، في المستقبل سأوضح ذلك كاملاً، في الحقيقة كنت أحب كمال طاهر مع معرفتي الأكيدة بكل سلبياته وعيوبه، كان صديقي، لأنه إنسان له جوانب مضيئة وكبيرة وغالية جداً.

كان غوته يقول لصديقه (يعقوبي) في رسالة أرسلها له في ١٢ نيسان ١٨١٢م هذه الكلمات: (منذ سنيّ المراهقة ونحن نعرف بأننا خلقنا متضادين مختلفين ويجب أن نبارك بعضنا ونحن في هذا العمر المتقدم. إذ كان الحب والتعاطف قد منعا فكَّ أواصر الصداقة بيننا).

قبل ١٧٤ عاماً نطق غوته بنفس أحاسيسي تجاه كمال طاهر - تلك التي بعث بها لصديقه يعقوبي.

لنعد ثانية إلى مايك هامر فأنا لا أريد أن، يبقى شيء بيننا مخبأ او سراً، جمالنا قبحنا - الأشياء الجيدة - قراراتنا - لنخط ونكتب عن كل شيء فينا. كي نعرّي في النهاية إنساناً مكشوفاً جلياً بكل سلبياته وإيجابياته. - بين أيدينا وثيقة تثبت أهداف حلقات مايك هامر - وهل كتبتْ لتوضح لنا طبيعة الامبريالية من الناحية الاقتصادية والتعفن الأخلاقي والاجتماعي، أم أنها كتبتْ لشد اهتمام القراء الاتراك.

أحد أصحاب الدور التي كانت تنشر حلقات هامر السيد (أرتام أغيلماز) والآخران هما (رتيك أردوران - وخلدون سيل) وفي مقابلة أجراها الصحفي /دمير كاش جيهون/ في جريدة الجمهوريات مع السيد أرتام أغليماز حول مايك هامرّ، صرح بما يلي:

(قلت لـ رتيك وخلدون مرّةً، ابحثا عن بوليس سري من نوع خاص،

بحيث يجد القاتل ـ وليحطم الجو تحطيماً كاملاً ـ هل قبض على النساء؟ هكذا يكون البوليس السّري يا روحي... ولكن هؤلاء الأطفال لا يسمعون كلامي لأنهم لا يريدون مثل هذه الروايات. في أحد الأيام كنت أزور مكتبة تبيع الكتب الأجنبية ـ أبحث عن كتاب ما ـ وإذ به يقع تحت ناظري، كنت أستطيع فهم عنوانه ـ بانكليزيتي البسيطة «Iam the juey» أنا القانون ـ فاشتريته مباشرة.. وعرضته على خلدون ورفيق وبعد قراءته قالا: لا يا روحي هذا كتاب عادي جداً.

قلتُ لهما: وضحا لي موضوعه على الأقل.. وبعد أن عرضا علي موضوعه بدا كما توقعته تماماً. كالبوليس السري الذي أبحث عنه.. لكن فيه عيب واحد مقاطع الجنس فيه قليلة جداً.

ما العمل؟.. قلت نضيف عليه.. ومن الذي سيضيف؟ كلّف السيد رفيق صديقه بهذا العمل قائلاً: الاسم الثاني المستعار «FM» وحده الذي يكتب هذا الشيء.. صدّق أو لا تصدّق.. ما كنت أعرف آنذاك بأن «FM» هو كمال طاهر نفسه.. كمال طاهر الذي تعرفه أضاف بعض الشيء لمايك هامر الذي طبعناه، لقد أصبح مايك هامر حدثاً عجيباً.

الله.. الله ـ بعنا مئة ألف نسخة.. كم ربحنا.. كم ربحنا؟ لقد دار موديل مايك كل تركيا.. في امريكا نشر على سبع حلقات، أما عندنا فلن تصدقوا فقد وصل عدد كتبه خلال سنوات قليلة من ستين إلى سبعين كتاباً.. والمرحوم كمال طاهر ذيَّل بعضها تحت اسمه الثاني المستعار «FM» فمن الذي لم يكتب مايك هافِّر؟

خطبة في السجن:

كانت الجرائد المفروشة تحتنا قد تمزقت، فإدخال الجرائد والكتب ممنوع (أمر محيِّر) لكن كنا نعطي العساكر المناوبين المال الكثير ليشتروا لنا طعاماً وخبزاً ولمرة واحدة في اليوم.

والأنكى من ذلك أنَّ عائلات المعتقلين لم يعرفوا مكان وجودنا في هذا المعتقل، لقد بحثوا عن مساجينهم في كل مكان - في بداية الأمر يسألون فرع المخابرات السياسية ثم ثكنة السليمانية - ثم قيادة الأحكام العرفية.. ولم يجدوا أثراً لهم.

ومع مرور الأيام لم يتركوا ثكنة إلا وسألوا فيها عن المعتقلين.. وقد اعتَبَر من اعتقلنا أنَّ مكان وجودنا سراً... أما أنا فلم يكن أحد يسأل عني خاصة أولادي الصغار ما كانوا سيلفون الثكنات بحثاً عني.. وبالرغم من ذلك كان هناك من يبحث عني إنها - مرال جلان - التي كنت قد التقيتها عصر اليوم الذي سبق اعتقالي في - بستان الجنة - ذلك اللقاء الذي اتفقنا فيه على الزواج بعد عودتها من مدينة (جوروم) والانتهاء من الامتحان الأخير للشهادة الثانوية. وعندما نالت الشهادة عادت إلى استانبول واستقرت في منزلي بحي الحربية.

وأصبحت أماً لولدي الاثنين وبدأت تسأل عني هنا وهناك وقد علمت بهذا فيما بعد.

كانت لمرال قوة أخرى إلى جانب بحثها عني مع بقية العائلات التي كانت تفتش عن أقاربها في كل مكان وكان أقارب المعتقلين بما فيهم الآباء والأمهات والأولاد والزوجات والأقارب يبحثون باستمرار عن سجنائهم، أما مرال فبأي صفة تبحث عني فهي ليست زوجتي ولا قريبتي، حتى أن اسمها الثاني لا ينطبق على اسمي وكانوا يسألونها في كل مكان تذهب إليه هل أنت قريبته؟

طبعاً لا تستطيع أن تقول أنا عشيقته، وإذا قالت ذلك علناً فتخيل رد فعلهم آنذاك.

بعد مرور خمسة أيام وجدت العائلات أبناءها وبدأت بجلب الفرش واللحف والبطانيات... وكل ما يحتاجه السجين.

أما المقابلات فكانت ممنوعة لكن كان يتم الاتصال عن طريق الرسائل سراً. وفي هذا الجو الضبابي وبعد ذهاب كمال من زنزانتي جاء مكانه (اصلان قبزضاع) وكان أصلان هذا من السجناء الذين يتسمون بشكل أفضل وبالنتيجة كان سجيناً جيدا، وكانت أيامنا تمضي بشكل أفضل في الزنزانة وكان قد قصّ علي قصة من قصص الأطفال. كانت قصة عادية هادفة وما كنت في يوم من الأيام أن أقرأها أو أسمعها، وقد كتبتها فيما بعد بعنوان (لحسة من العسل) وطبعتها مع قصص أخرى في كتاب للأطفال بعنوان (الذبابة التي نصبت تمثالها) وحولتها إلى مسرحية صغيرة بعنوان (العسل الذي يفجر).

إن لم تخني الذاكرة كان قد سمح بالمقابلات للمعتقلين وقد دامت إحداها مرة عشر دقائق أما أنا فلم أستطع أن أقابل (مرال جلان) لأن كنيتنا غير متطابقة أي أنها غريبة عني، لكن استطعت أن أقابلها عدة مرات بمعاونة العقيد مظفر وخلال هذه المقابلات القليلة كنا قد اتفقنا على الخطوبة/ أي أصبحت وسيلة لقاء بيننا وعندما كانوا يسألونها عن قرابتها لي تستطيع على الأقل أن تقول أنها خطيبتي حتى ولو لم تكن الخطبة رباطاً شرعياً فإنها تعد بداية الرباط القانوني والشرعي. وكان خاتما الخطبة هدية من (يوسف زيا أورتاج) وقد أعطاهما لمرال. وفي إحدى المقابلات التي دامت عشر دقائق لبسنا خاتمي الخطوبة.

لم أعد أذكر وقتها هل قبلتها أم لا، ربما قبلنا بعضنا وربما لم نفعل ذلك لوجودنا في معتقل عسكري. أما ابني الذي كان يقف على بعد ثلاثة أمتار تقريباً كان يضحك بطريقة عجيبة واضعاً يديه على بطنه ينحني نحو الأرض ثم يعود إلى حالته الطبيعية لأنني كنت في نظره رجلاً عجوزاً «كما يظن كل الأطفال». كنت في الأربعين من عمري آنذاك ومرال في الحادية والعشرين، وابنتي كانت تعبر عن مشاعرها بضحكاتها الساخرة وكأنها تقول: عيب عليك أن تتزوج فتاة صغيرة بعمر ابنتك وتخطبها في مكان مكشوف، في صالة المعتقل، ربما كان هذا تعبيراً عن غيرتها على أبيها.

ظلت أسماؤنا الثانية غير متطابقة ـ بعد الخطوبة ـ لكن اختلفت نظراتهم إلينا.. فأصبحوا ينظرون بعين العطف ـ إلى حد ما تجاهنا ـ وباعتبارها أصبحت مخطوبتي صارت تقابلني كل يوم مخصص للمقابلة، لمدة عشر دقائق كباقي العائلات، وقد كانت تحضر لي الطعام كل ثلاثة أيام وتضعه على الباب، أما يوم المقابلة فكانت تحضر لي الأطعمة التي أحبّ. وكنت قد طلبت منها أن تأتيني ببطانية وأشياء أخرى، وفي أحد المرات طلبت منها صوفا للجلوس والنوم إذ كنت أضع أمامي خشبة وأكتب عليها وكنت أفتح الصوفا وأنام عليها عندما أحس بالنعاس.

هذا جزاء من تكون خطيبةً لعزيز نيسين:

كانت مرال جلان تعمل سكرتيرة في مجلة /آق بابا/ وكنت واسطتها في ذلك العمل ولم أقل لها ذلك حتى الآن ـ حتى كتابة هذه السطور.

قبل عودتها من جوروم، كانت قد تركت العمل في المجلة لأنها كانت على خلاف دائم مع يوسف زيا أورتاج ـ من كان المحق منهما لا أدري ربما الاثنان أو ربما كانا على باطل، ذهبتْ إلى بشار نابي ناير ـ الذي يعمل في مجلة /فارلق/ وبدأت العمل فيها.

وكانت قد تعرفت على هذا الإنسان عن طريق الرسائل. وكان راتبها خمسين ليرة في الشهر وكانت بهذا المبلغ الصغير تعيش هي وأولادي وبنفس الوقت كانت كل يومين تحضر لي الطعام ودامت على هذه الحال عشرة أيام بعد خطوبتنا.

بعد شهر تقريباً سمحوا لنا بشراء الأوراق والكتب والأقلام، فرحت أعمل مسرعاً ربما لضيق الوقت الذي أقضيه في الزنزانة. وقبل فترة كنت أكتب أكثر مما أكتب الآن ربما مخطئاً في تقديري، لقد كتبت في المعتقل قصصاً كثيرة إذ تعادل كتابين تقريباً.

وبعد كتابة وتجهيزي لزوايا مجلة /آق بابا/ الاسبوعية كنت أكتب في

مجلات وجرائد أخرى وكل تلك الكتابات كانت تنشر باسم مستعار، لأنه قبل عشر سنوات من الآن وكل الكتابات التي كانت تقدم باسم عزيز نيسين كانت ممنوعة من النشر طبعاً وبعد هذه الكثرة من الكتابة كان لا بد أن تتقلص ضائقتنا المالية. وما أريد أن أوضح هنا هو مواقف مرال القوية بجانبي، فما هي هذه المواقف؟

أولاً: كانت على وشك الزواج من كاتب منع اسمه من الظهور ويكبرها بعشرين عاماً وقد تمت خطوبتهما في معتقل عسكري إضافة لذلك فردت جناحيها بعطف فوق طفلين صغيرين وضمتهما بحنان كأم حقيقية إذ كانا بأمس الحاجة للرعاية والعناية وكانت تفتش دائماً عن أنجح الطرق لإزالة الضائقة التي كانت تعصف بنا. وكان من الواضح أن تلك الظروف القاهرة التي لم نمهد لها تسير بنا وبخطوات سريعة إلى الزواج.

إن /يشار نابي نايو/ كاتب كبير من كتابنا له مكانته الخاصة والمهمة في حياتنا الثقافية، عموماً لن أستمر في الكتابة إلا بعد أن أذكر هذا التصرف له. لقد قدم هذا الكاتب خدمات عظيمة لحياتنا الفكرية والثقافية لأنه أثبت وبشكل أكيد أنني جدير بالاحترام ونيل الجوائز.

لقد بقيت مجلة /فارلق/ الوجود ـ تحت رعايته واهتمامه خمسين عاماً ولا تزال تعطي بثبات، وتضيء باستمرار على نقيض مئات المجلات الأخرى التي أغلقت، وأعتقد أن سبب نجاحها هو يشار، وأنا أحد الذين صفقوا لها وله وأعطاهما الثقة والتقدير، وكان لي فضل كبيرٌ في الجائزة التي نالها يشار من وزارة الثقافة /جائزة الدولة/ لأنني كنت عضواً في الهيئة العامة للثقافة العالمية آنذاك، لكن هناك وجه آخر للجائزة فكيف يحصل ـ وفي هذا الوسط الثقافي الذي يحاول المنتجون والمسؤولون أثناءه على كبح جماح الثقافة على هواهم وحسب مزاجهم ورغباتهم السياسية والاقتصادية كيف يمكن أن تظل مجلة أو اثنتان لمدة طويلة ـ على نقيض

الأخريات التي تفتح وتُغلق وفق الأهواء والأمزجة والإرهاب الفكري. هذا هو السؤال المحير...

مع الأسف لم يفكر أحدٌ في هذا السؤال

والجواب...

في البداية قلنا أن أصحاب دور النشر التي أغلَقت أو أُغلقت، ماتت أم قتلت. إن كل أصحابها سذَّج لا يفهمون.. غير محظوظين ولا علم لديهم بأن يشار ناي نايو هو الوحيد الذي يفهم، لأنه علمي محظوظ ولا بد أن يكون لهذا الانسان صفات خاصة وبراعة من نوع مميز.

ليست /فارلق/ أو غيرها أو أي مسرح أو محفل فني إذا تابع انتاجه لأعوام طويلة دون تعثر أو عائق فلا بد لصاحبه من دفع بدائل كثيرة، والدخول في ألاعيب عدة، ولعِبِ نوعاً من أنواع الجمباز الانتهازي والسياسي.

وبشار نابي الذي قدرت نجاحه المستمر طوال هذه السنين، فإنه دفع لهذا النجاح أشياء كثيرة وظهر بتصرفات معينة وسار مع هذا التيار. ولكي أقدم دليلاً لكلامي فإنني سأذكر حادثة رويتها في كتابي «مجانيني» حيث لم أذكر أثناءها اسم يشار نابي صراحةً.

بعد عشرة أيام من خطوبتنا ـ أنا ومرال ناداها صاحب المجلة وقال لها:

ـ صحيح أنك خُطبتِ لعزيز نيسين؟ قالت:

ـ نعم لقد خُطبت.

ـ لقد بدأ البوليس السياسي المجيء إلى هنا وسأل عنك كثيراً. وبما أنكِ خُطبتِ لعزيز نيسين فلن تستطيعي العمل هنا لأنك مطرودة من العمل.

لقد طردها وجرت الواقعة كما ذكرت تماماً. في هذه الأثناء كنت قد بدأت أكتب وأرسل كتاباتي إلى المجلات والجرائد يعني كنت أحصل على المال.

○ ○ ○

١٣

المنهارون أو....

كان عدد المعتقلين ستين معتقلاً في ذلك المعتقل العسكري. وكنا موزعين على مجموع الزنزانات - حسب ما أذكر - وكان من بين الذين أذكرهم الآن - مصطفى يورك لوجا - (صاري مصطفى) وحمدي شاميلوف - وكمال طاهر وشقيقه راتب طاهر - وكانت تهمته أنه شقيق كمال طاهر ولم يكن منتمياً لأي حزب سياسي، ولم يشترك في أية مظاهرة، ولم يحقق معه أحد أبداً (إلا لأنه شقيق كمال طاهر؟!) ومن بين الموجودين معنا أيضاً الدكتور /خلوصي دوسترغو/ و/لطفي أرشجي/ و/ حسام الدين أوز دوغرو/ وحسن عز الدين دينامو/ و/مظفر أوزكوتجاك/ وعاصم بازرجي - وقاتل صباح الدين علي /علي أرتكين/ الذي عرّف صباح الدين عليّ وخطط له بالهروب إلى بلغاريا من قبل المهاجر البلغاري - بربر حسن عرفي ووالي وفهمي كوروجو وأصلان كاينرداغ وتورتجي أمين سوكون وأحمد فارنجي وهادي مالكوج وفريد وزيا توزمان ومدور وطورنجي سليمان وفايق مظفر أماج واسماعيل والدكتور مؤيد بوراتاق وشقيقه جان بوراتاق.

وصديقي المرحوم صباح الدين أوغلو والمهندس الكيميائي عصمت سليم أوغلو وعامل التبغ رمزي حسن ورجائي يلكن قاية.. والذين لم أذكرهم ومعظمهم قد مات.

لم يحققوا في فرع المخابرات أو المعتقل.. كانت أيامنا تمضي دون

أمل.. كثيرون هم الذين كتبوا يستفسرون عن أحوالنا (لا ذنب لنا) بأي ذنب نحن هنا؟ لماذا لم تحققوا معنا؟ أسئلة كثيرة كانت ترسل.. لكن ليس من جواب (شخصياً لم أرسل أي طلب) ومن الطبيعي أن تكون أعصاب بعضنا قد توترت. وفي صباح أحد الأيام سمعنا صياح ديك، وكان أحدهم هو الذي يصيح ـ كما توقعنا ـ لم يكن سوى المرحوم فائق مظفر آماج ـ كان يحمل من الصفات ما يؤهله ليكون إنساناً لعالم الجمال والحب.. كان عقله نيّراً وقلبه صافياً كالذهب.. وكان قد أنهى قسم الفلسفة ثم دخل كلية الحقوق وأتمّها، كان مدرساً في إحدى مدن الأناضول.

مثل هؤلاء الواعين للدنيا والعلم كيف سيتحملون هذا الوسط الثقافي الموجود بالعقول المتطرفة والمتعصبة دينياً بشكل أعمى والذين يوجهون ويديرون تلك المؤسسات الثقافية والعلمية.

كان يحاول تبرئة نفسه بكافة الأشكال لكن إلى متى؟... لقد طرد من عمله بأمر من وزارة التربية ومن سيفهم وضع هذا الإنسان النير في ثانوية خارج المدينة وكان هذا الأمر عادياً بالنسبة للمسؤولين.

جاء فائق مظفر إلى استانبول وراح يعمل بالمحاماة وكان يربح من المال ثلاثة أضعاف ما يربحه من التدريس. لم يقبض عليه قبل هذه المرة ولم يدخل السجن سابقاً أو يتعرض لأي تحقيق قضائي.

بعد حادثة صياحه كالديك بيومين فتحوا لنا أبواب الزنزانات وأصبحنا أحراراً (على الأقل في صالة المعتقل وقد كانت مطعماً في الكلية الحربية قبل أن تصبح معتقلاً). كانت أعصاب المرحوم فائق مظفر قد هدأت واستقرت للغاية بعد أن صرنا أحراراً في داخل الصالة، وأصبحنا نجتمع ونناقش أموراً عدة بوجود المرحوم مظفر.

كان هناك آخرون أثر الاعتقال عليهم وبينهم من لا أعرفه وكان بينهم

شاب يعمل سائقاً لم يكن يمينياً ولا يسارياً ولا يفقه شيئاً في السياسة ومن يدري بأي خطة بوليسية سياسية حقيرة دخل إلى هنا. هو الآخر كان من الذين لم يتعرضوا في حياتهم للتحقيق أو غيره وفي أحد الصباحات سمعنا وقع أقدام كثيرة ودوشة وأصوات. كان الشاب السائق قد علق نفسه بحبل على حلقة الحديد النازلة من السقف قرب المصباح الأعمى، أنزلوه لكنه لم يمت وأخذوه من عندنا بعد عدة أيام.

معرض الفطريات الملونة:

عندما بدأت الأمطار بالهطول حصلت أشياء غريبة، فمن شدة الرطوبة في جدران الزنزانات بدأ ظهور بعض الفطريات وأذكر تماماً تلك الفطريات في زنزانة الدكتور خلوصي ومظفر أوزكولاج كانت قد غمرت الجدران والزوايا ونبقت من البلاط الأرضي وعلى السقف، وكنت أذهب إلى تلك الغرف لرؤية الفطريات بين حين وآخر.

كان جمالها يفوق التصور تتفتح كالوردة بألوان عدة، الوردي، الغباري، الأصفر، الأزرق الفاتح، الأخضر، البني.

من أين كانت تستمد هذه الألوان؟

لا شك أنها كانت سامة، وكنت أجد متعة في النظر إليها كأنها معرضاً فنياً. أزورها في الأوقات التي كنت أتعب فيها من الكتابة أو المطالعة وكنت أحس بالراحة النفسية والجسدية.

كانت رطوبة الزنزانات قد بدأت تعمل عملها في الإنسان، في صباح أحد الأيام وجدنا وجه الدكتور خلوصي مفلوجاً وقد مال فمه نحو خده الأيمن ولا شكّ أنه أمر مفجع وأليم، لكنني أحسست بنوع من الغرابة والدهشة لهذا الأمر. صديقنا العزيز الذي كان يتحدث دائماً ويتكلم بفمه أصبح لا يقدر على التفوه بشيء.. لا بفمه ولا بغيره. فابتعدت عنه كي لا أضحك رغماً عني. لأنه إذا رأى شيئاً من

هذا القبيل فإنه على حق وباستطاعته نهري ونقدي وربما تأثر أكثر من ذلك.

والحق أقول: لو أنني أُصبت مثله ونظرت في المرآة كنت سأضحك على نفسي أكثر من ضحكي عليه، لقد عاد وجه خلوصي إلى طبيعته بعد مداواة دامت عدة أيام وبقي الشكل النصفي على وجه فهمي لم يغادره... ظل ذكرى صغيرة لأحداث ٦ ـ ٧ أيلول مطبوعاً على وجهه. هذا الإنسان لم أره منذ سنوات وربما قد شفي الآن. كانت الرطوبة تجتاح زنزانة حسن عز الدين دينامو أيضاً.. لكن الفطريات لم تظهر فيها كبقية الزنزانات لكنها كانت تحتوي على نوع من الحشرات /حشرة التسبيح/ وبعض النمل والعقارب والحلزون وأم أربع وأربعين... وأنواع أخرى نعرفها وأخرى لا نعرفها من الحشرات والزواحف الصغيرة. كان يعتني بتلك الحشرات ويزيد في انتاجها تاركاً لها فضلات الطعام وفتات الخبز، ويرش لها بعض الماء كي يزيد جو الرطوبة في الزنزانة كان يدعونا في بعض الأحيان لمشاهدة حشراته ويتحدث عن ميزة كل منها على انفراد... كان بعض الأصدقاء يرون في اهتمامه الزائد بتلك الحشرات ضرباً من الانهيار العصبي والنفسي النابعين من الظروف القاسية في المعتقل.

أنا شخصياً لم أفكر بطريقتهم (حتى لو كان كلامهم صحيحاً فهذا الانهيار ليس سيئاً كما يعتقدون).

○ ○ ○

ـ ١٤ ـ

الرجال الذين سيعلّقون على المشانق كعناقيد العنب

بعد اعتقالنا باسبوعين تقريباً، تمّ القبض على أعضاء منظمة /قبرص التركية/ التي ذكرتها آنفاً. وقد وضعوهم في غرف خاصة في نفس بناء الكلية الحربية، على نقيضنا تماماً حيث ظروف الاعتقال عندنا كانت سيئة جداً، فمن الليلة الأولى لاعتقالهم أعطوهم فرشاً جديدة لم تستعمل قط ثم أطلقوا سراحهم بعد مضي شهر، كان حكمت بيل ـ من بينهم وهو رئيس المنظمة، أقل وأنا في غاية الدهشة: كيف لم يعطوه ميدالية لما قام به من الأعمال ولأنه كان قد استحق الميدالية فعلاً.

من الطبيعي جداً أن يكون لكل إنسان فرص للنجاح وأخرى للفشل وعدنان مندريس كان ناجحاً في بعض ما قام به، وفاشلاً في أعمال أخرى، لكن الشيء غير الطبيعي فيه نجاحه المنقطع النظير وفشله الذريع جداً، لم يكن انساناً أبداً.

إذ كان يحمل الصفات الشاذة والطبيعية في نفس الوقت. وكان يعتبر فشله نجاحاً له خاصة عندما وافق على الاشتراك في الحرب الكورية وإدخال تركيا تحت سيطرة الدولار قبل موافقة مجلس النواب التركي، ومن أخطائه الكبيرة أيضاً أحداث ٦ ـ ٧ ايلول المفجعة والتي سببت له صدمة كبيرة وغير متوقعة... وكان المسؤول الأول والأخير عن هذه الأحداث حكومة مندريس المذنبة الوحيدة في ذلك. فهي التي حرضت

على النهب والسلب والفوضى والتدمير لكنها لم تستطع السيطرة عليها.

نعم ـ كافة المعتقلين هنا لم يكن لهم علاقة بتلك الأحداث بأي شكل من الأشكال أنا شخصياً كنت قد عايشت تلك الليلة ـ على الأقل ـ وكان بيننا سجناء لم يعلموا بأحداث تلك الليلة إلا من الجرائد في صباح اليوم التالي... وعلى هذه الحال لماذا اعتقلونا؟.. لقد أضاع مندريس ووزراؤه طرف الخيط من أيديهم، كانت استانبول قد دمرت فماذا يفعلون أمام الرأي العام التركي والعالم ـ لقد احتاروا ـ ويجب أن يوجدوا مذنباً حتى يدينوه ولكي يظهرونه للملأ.

حتى يخفّ الضغط الشعبي والاجتماعي عنهم (أي عن مندريس ونامق كديك) كان عليهم أن يجدوا مذنباً حتى ولو كان بريئاً مهما كان الأمر.

من يمكن أن يكون ذلك المذنب؟ الشيوعيون. وكان واضحاً أن الرأي العام التركي سيوافق على هذا الاقتراح: أي إدانة الشيوعيين. عندما تقول الشيوعية: يسكت الجميع، ولا يستطيع أحد أن يتفوه بكلمة.

في تلك المرحلة لم يكن باستطاعة أحد أن يدافع عن شيوعي حتى ولو كان محقاً. أي رجل؟ أي قبضاي؟ ولكن حتى الستين الذين اعتقلوهم «وهم شيوعيون» لم يكن ضدهم أي دليل واحد يثبت اشتراكهم بتلك الأحداث. لقد تمّ الاعتقال بسرعة.

أما فكرة اعتقالنا نحن الشيوعيين لم تكن قراراً من مندريس نفسه. كما سمعنا إنما فكرة الغير ـ من مؤيدي حزب الشعب الجمهوري ـ وهو صحفي وكاتب ولا أحب أن أذكر اسمه هنا، لما أحمل لاعماله الفنية من عظيم التقدير، ولكني لا أريد تصديق الآخرين واتهامهم له بهذه الفعلة.

وكما يقال: لقد تعلّق مندريس بهذه الفكرة كما تتعلق الأفعى وتلتف على العود عندما ترمى في البحر.

وهكذا ما كان من وزير الداخلية إلا أن يأمر مدير الأمن بإلقاء القبض علينا (هيا ألقوا القبض على خمسين أو ستين شخصاً من الشيوعيين وبسرعة قبل أن يظهر ردّ الفعل الجماهيري، لكي ندينهم علناً أمام الرأي العام كونهم السبب في الأحداث).

وهناك دليلان نعرفهما جيداً أسرعا عملية إلقاء القبض علينا كمذنبين أمام الرأي العام التركي والعالمي:

ـ الدليل الأول: كان من بين الأسماء التي سيتم القبض عليها المرحوم أسد عادل مستجابي، كان يعمل محامياً في مكتب واحد مع المرحوم فايق مظفر آماج في عمارة فوق شارع طريق الديوان. في ٧ أو ٨ ايلول جاء إلى المكتب دورية من المخابرات السياسية وكان في المكتب مظفر آماج.

سألوه:

ـ أين السيد أسد عادل؟

وكان السيد أسد مسافراً لإحدى المدن يحمل مذكرة دعوى من إحدى المحاكم ولا استطيع أن أتذكر فحواها الآن..

عندما أجاب فايق بهذا الجواب.. تأوه رئيس الدورية آنذاك طويلاً وبعد تفكير سأل ثانية:

ـ متى يعود؟

ـ سيعود بعد اسبوع وربما أكثر.. كما قال لي.

دار رئيس الدورية في المكتب وقال:

ـ إذن ستأتي معنا أنت سآخذ أقوالك في أمر ما. ليس هناك فرق كبير ـ

كان مظفر يملأ الجدول بعدد الشيوعيين...

أكان أسد عادل أم فايق مظفر آماج؟ الاثنان واحد.

وهكذا تم اعتقال مظفر آماج بدلاً عن شيوعي وأصبح وجوده معنا حقيقةً. حتى تلك الحادثة لم يكن قد تعرّض لأي تحقيق قضائي أو غيره وكان عمله الوحيد بيننا املاء مكان أسد مستجابي.

ـ الدليل الثاني: شخص آخر كنت قد تعرفت إليه في المعتقل العسكري عندما اعتقلنا عام /١٩٤٨/ واسمه جلال بنّائي، كان طياراً وله صلة قربى بالدكتور ـ حلمي زيا أولكان ـ وكان اسمه موجوداً في سجل من سيتم اعتقالهم من الشيوعيين ومن المشتركين في أحداث ٦ ـ ٧ ايلول المفجعة. فقد جاء ثلاثة من مخابرات الأمن السياسي إلى منزله وعندما فتحت زوجته الباب قالوا:

ـ نريد السيد جلال بنائي. عندها دهشت المرأة:

ـ أتقولون جلال؟ لقد مرّ عام على وفاته.

من الذي كان سيملأ مكان جلال بنائي بيننا لا أدري؟ المهم كان هناك أحد.

وهكذا تم اعتقالنا لأننا مذنبون.

ربما كنا في الشهر الثالث من اعتقالنا، عندما سمعنا بنبأ جاءنا من خارج السجن ـ ومرسله (والانور الدين) ومفاده: أن قيادة الأحكام العرفية قد أصدرت اوامرها للمسؤولين بأن تعلّق كل المذنبين الذين تم اعتقالهم وادانتهم كونهم قد اشتركوا في أحداث ٦ ـ ٧ ايلول وهم من اليساريين، وسيشنقون في ساحة السلطان أحمد، كعناقيد العنب.

كان أمراً لا يصدق وأنا شخصياً لم أصدقه. حتى أنني سخرت منهم، هكذا يشنق الرجال دون أن يقترفوا أي ذنب؟ إن هؤلاء المسؤولين

مجانين! كيف يفكروا بهذه الطريقة وهذا ليس خطأ بسيطاً يخطئون به يشنقون الرجال كعناقيد العنب.

سأحدثكم الآن عن حادثة مريعة شاهدتها بأم عيني.

بعد خمس سنوات من أحداث أيلول أي في عام /١٩٦٠/ استولى العسكر على تقاليد السلطة في تركيا، كان ذلك يوم ٢٧ نيسان من ذلك العام. كانت الحكومة الجديدة تحاكم بعض نواب مجلس الشعب وقسماً من القادة العسكريين، وكنت أراقب الجلسات ـ كوني صحفياً. ففي جلسة ذلك اليوم كانوا يحاكمون بعض المشاركين في أحداث أيلول وكان المتحدث حاكماً عسكرياً برتبة عقيد. ولو لم أسمعه بنفسي ما كنت لأصدّق ذلك.

قال بالحرف الواحد:

ـ كان أمر قائد الأحكام العرفية الجنرال نور الدين أكنوز على الشكل التالي: (سيعلق اليساريون كونهم مذنبين كعناقيد العنب على المشانق) كنت قد جمدت تماماً عند سماعي هذه الكلمات.

وكنت قد فهمت في تلك اللحظة، وبعد مضي خمس سنوات بأننا تخلصنا من موت محتم، كان الأمر لا يصدق، لكن هي الحقيقة بعينها.

من جلسات المحكمة:

بعد كتابة هذه السلسلة، نشرت مجلة التاريخ والمجتمع الشهرية في شهر أيلول عام ١٩٨٦، نشرت جلسة المحكمة حول أحداث ٦ ـ ٧ أيلول حيث أكدت صحة ما ذكرته آنفاً. وهذا هو المقطع الذي نشرته المجلة ص٦١.

رئيس القضاة: بعد أن عيّن في قيادة الأحكام العرفية. كان يجمع القضاة التابعين لقيادة الأحكام العرفية كل خمسة عشر يوماً، وفي كل اجتماع يضع مدير المخابرات إلى يمينه ورئيس الأمن القومي إلى يساره

وكان يردد ويأمر.. «إن هذه الأحداث نشأت من قبل الشيوعيين، ستحاكمونهم وسنقضي عليهم قضاءً مبرماً».

ـ شاهد أكنوز: قبل كل شيء، أرجو من المحكمة الموقرة أن تسمح لي بعرض قناعتي الشخصية من خلال تتابع الأحداث بأن الشيوعين كانوا خلف هذه الأحداث، وقد أكدتُ هذه الحقيقة بالذات في الاجتماع الأول الذي عقدته مع القضاة حول الموضوع ـ ص٨٨.

وما قاله القاضي العسكري المتقاعد (شاهين جلال اكتين داغ) إذ كان في زمن الأحداث قاضياً عسكرياً.

كان يقول للقضاة «إذا أثبت الدليل القاطع أن الشيوعيين خلف هذه الأحداث فإنه سيطالب بأشدّ العقوبات ضدهم ومنها حكم الإعدام.

هذا ما كان يقوله صراحة، أما القضاة فقد اعترضوا على هذه الأحكام قائلين: كيف سنحكم عليهم بالإعدام ولا نملك دليلاً واحداً ضدهم.

وكان الاعتراض أيضاً من قبل مدير الأمن السياسي ومفتش الأمن القومي: يا سيّدي لا نستطيع أن نثبت ولو دليلاً واحداً صحيحاً ضدهم. ص(١٠٩)

وهذا ما قاله رئيس القضاة العسكريين في القوى البحرية سابقاً.

والآن هو القاضي العسكري المتقاعد الأميرال ـ شاهين فخري جوكر ـ

ذهبت إلى الاجتماع الأول في ٢٤ أيلول عام ١٩٥٥م وكان عدد المدعوين ٢٦ قاضياً وثلاثة من أمراء العدل، بوجود رؤساء فروع المخابرات الأمنية هناك. خلال الاجتماع خطب فينا الجنرال نور الدين أكنوز بشكل مطّول شرح فيه بأن الأحداث من تدبير الشيوعيين وقال أنه يتمنى أن يشاهد الكثير من هؤلاء معلقين على المشانق كالعناقيد.

وكانت هذه الاجتماعات تعقد كل خميس من كل اسبوع.

ما قاله جمال سنجاق ـ رئيس المخابرات القومية ـ في استانبول سابقاً والشاهد المتقاعد حالياً.

«كنت موجوداً في أحد الاجتماعات وقد أرسلوا بطلبي مع مدير الأمن آنذاك السيد خير الدين أوغلو ـ حيث طلب منا القضاة أن نتحدث حول الموضوع وطلبوا أيضاً معلومات سرية عن تحركات الشيوعيين وتحضيرهم لمثل تلك الأحداث. كان معي الجنرال شوقي موتلوغيل تركته يتحدث عن هذه الأمور لأنه مختص بهذه المواضيع وبقيتُ كل هذه الاجتماعات نظرية.

ما قاله الشاهد حكمت أوناث: «قال لي الباشا غورسال في أزمير «لا يوجد هنا أحد من القضاة، كلهم ذهبوا إلى استانبول بدعوة. هل يستطيع قائد الأحكام العرفية أن يتحدث مع القضاة؟ فتحققْ من الأمر عندما تذهب إلى هناك، وعندما جئت إلى استانبول: الحقيقة وجدت زملاءنا القضاة، وبعد أن تحدثتُ معهم علمت أنهم كانوا يجتمعون في الحربية مع قيادة الأحكام العرفية ومدير الأمن السياسي.

وإن قيادة الأحكام العرفية كانت تصدر تعليماتها وأوامرها للقضاة بشدّة من أجل إصدار الإعدام للشيوعيين ويأملوا أن يشاهدوهم معلقين على المشانق كعناقيد العنب»

إذن كان بنيّتهم أن يشنقونا، على مراحل، إذ سيختارون عشرة أو خمسة عشر من المعروفين بيننا، وسيلقون التهمة على اليساريين. ويتخلصون من هذا الحمل.

هل كان الناس سيصدقون كلامنا لو قلنا أننا أبرياء، أبداً لن يصدقنا أحد أبداً، لأنهم سيقولون لولا أنهم مذنبون لما شنقوهم لأن المنطق والشرف والوجدان يقرّ بإعدام الناس الأبرياء.

إذن هم مذنبون.

لكن ربما ناقشوا الحكم علينا كونه قاسياً وسيتحدثون فيما بينهم ليس ضرورياً أن يحكموا بالإعدام، فالمؤبد كان يكفي.

○ ○ ○

ـ ١٥ ـ

من الذي ألقى القنبلة

ألقيتْ قنبلة على منزل أتاتورك في سالونيك، وكانت مفتاحاً لأحداث ٦ ـ ٧ أيلول المفجعة.

من الذي رمى تلك القنبلة؟

لنقرأ القطعة التالية من قرار «محكمة ياسي آدا» المحكمة التي حاكمت عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا آنذاك لأخطائه الكثيرة ومن ضمنها الحكم بالإعدام على الشيوعيين، والتي شُكلتْ بعد أن سيطر العسكريون على زمام السلطة في البلاد في ٢٧ آيار ١٩٦٠ وهذا قرارها:

مروراً بقرار المحكمة اليونانية البدائية ومحكمة التمييز، واستناداً للتحقيقات والاعترافات وبعد النظر إلى مجمل القضية والاطلاع على تقارير المحكمة، تبيّن أن من أدخل القنابل إلى البلاد هو وكيل القنصل التركي في سالونيك السيد محمد علي تكين آلب، في ١٥ تموز ١٩٥٥.

والذي رمى القنبلتين هو أوكتاي أنكين الطالب الحقوقي وكان يجري دورة في القنصلية بأوامر من القنصل التركي السيد محمد علي بالي. وهو يوناني من أصل تركي، والثاني كفاس أوجار حسن، يحمل الجنسية اليونانية من أتراك مقاطعة «كوموجين».

وبعد مداخلات الحكومة التركية لم يتعرض الدبلوماسيون الأتراك لأي تحقيق أو استجواب، نظراً للحصانة الدبلوماسية التي يحملونها.

حُكم على حسن أوجار بالسجن عامين وتم تنفيذ الحكم. وحُكم على

أوكتاي أنكين بالسجن لمدة ثلاثة أعوام وستة أشهر وبعد فترة من سجنه لجأ إلى تركيا في ٢٠ أيلول عام ١٩٥٦ ولم يكن قد أكمل سجنه فطلبته الحكومة اليونانية ليكمل ما تبقى له من وقت، فكان رد الحكومة التركية بالنفي.

ما قاله الشهود حول اوكتاي أنكين في محكمة (ياسّي آدا)

نظراً لقرار المحكمة اليونانية الابتدائية وما قاله الرئيس: بعد قرار المحكمة اليونانية برقم ٣٩.

هناك اعتراف من أوكتاي بأن الذي رمى القنبلة هو حسين أوجار، وبعد التحقيق والتدقيق تبيّن بأن القنبلة لم تُلق من الخارج بل أُلقيتْ من داخل القنصلية.

الشاهد ابراهيم اوغوز «رئيس المفتشين في الأمن القومي في استانبول»:

لقد اعترف اوكتاي بأنه ألقي القنبلة وهو يفخر بهذا العمل ويعتبره عملاً بطولياً ص ١٣٦. ويدّعي بأن هناك مشكلة خاصة حول منزل يملكه هناك. ص١٣٧

الشاهد كمال سافجي «صحفي»:

قال لي اوكتاي أنكين: إن ما لقيته من الحماية قليل بما قاسيته هناك ص١٤٩.

تركيا وطني طيلة حياتي، هذا البلد الذي يخلق الدهشة للمفكرين والعقلاء، ماذا جرى لذلك الانسان الذي رمى القنبلة على منزل أتاتورك؟ والتي أدّت إلى أحداث ٦ ـ ٧ أيلول المفجعة. لقد أدين واعترف بذنبه، أين هو؟ وماذا يعمل حالياً؟ الجواب في مجلة التاريخ الصادرة في شهر أيلول ١٩٨٦.

«لا يزال أوكتاي يعمل رئيساً لشعبة التخطيط في فرع المخابرات الأمنية».

○ ○ ○

١٦
مصطفى بورك لوجا

كنا نغيّر غرفنا بين وقت وآخر، هل كنا نقوم بذلك؟ أم الجنود يريدون ذلك؟!

لست أدري!.. كنت مع مصطفى يورك لوجا لبعض الوقت في زنزانته. أعرفه منذ زمن طويل من إحدى المعتقلات العسكرية عام ١٩٤٨. أحترمه كثيراً وأقدره، وأخته كانت زوجة «حسام الدين اوزدو غرو» وأخت حسام الدين زوجة كمال طاهر وتدعى سميحة.

ألفّنا مجموعة أسميناها /مجموعة مشاركة الطعام/ كمال وأنا ومصطفى وراتب طاهر وحسام الدين وحمدي شاميلوف، ستة أشخاص نتقاسم ما يأتينا من طعام المنازل في زنزانة واحدة.

كنت مع مصطفى «الأصفر» ـ وهذا ما لقبناه به ـ في الزنزانة ليلاً نهاراً، يكبرني خمسة عشر عاماً، وكنت أشعر أنه من عمري، وقع أسيرا بيد الروسّ في الحرب العامية الأولى وكانت رتبته (صف ضابط). واستلم عدة مهمات في عهد الانقلاب الأول ولهذا كانت لغته الروسية جيدة جداً. وترجم كثيراً عنها.

قال: لو بقيتُ هناك (كان يقصد روسيا) لأصبحت الآن جنرالاً على الأقل لست أدري ربما كان يحس بالندم. سألته بعد أن ناديته باسمه: هل أنت نادم يا مصطفى؟

ـ لا.. لا أبداً أنا اخترت ذلك بنفسي، ثم على الانسان أن يعمل في وطنه. الأحداث والأشياء التي كان يرويها كانت تشبه الأحلام الملونة اللذيذة أو الروايات، لذلك يجب أن أكتب عن هذا الانسان كثيراً.

إن مصطفى بورك لوجا يعتبر انساناً قيماً وتأثيره كان كبيراً على كمال طاهر في شبابه، فالانسان انسان بجوانبه الخيرة والشريرة، في صغره وكبره بسلبياته وإيجابياته.

كنا نؤلف فريقاً واحداً نتقاسم ما يأتينا من الطعام في زنزانة حسام الدين أوزدوغرو، كان طعامي أنا ومصطفى أقل وأنا كنت أجلب له الطعام يومياً. في ظهر أحد الأيام قال لي مصطفى:

ـ اذهب مبكراً واستلم قبل الجميع ليأتينا من الطعام أحسنه. هل يمزح؟ لا أبداً، ثم أنه لا يحب بطنه ـ أي ليس شرهاً في الأكل.

أصبحت كالانسان الذي يشعر بالاشمئزاز عندما يشاهد مزهرية جميلة أثرية تتحطم على أرض مرمرية جميلة.

أضاف التشهير بالآخرين خطأ كما أخشى أن أشهر بنفس الخطأ ولا أعتقد أنني نقدت أحداً خطأً.

بعد عامين من خروجنا من المعتقل، مرض مصطفى بورك باشا، حيث نقل المشفى. وكان كمال طاهر في زيارته وعندما قصصت له الحادثة دهش كثيراً وقال:

إنه ليس بالانسان الذي تتحدث عنه، فقبل ثلاثة أعوام كان علاء الدين حق كودان قد روى لي عن مصطفى قصة تشبه إلى حد ما ما قلته أنا لكمال طاهر.

لا يا أخي ليس هو بالانسان الذي تقول عنه ذلك.

ولكن نبقى بشراً في كل الأحوال، لم أعرف ما حصل بعد ذلك حيث نُقل مصطفى إلى زنزانة أخرى وبقيت وحيداً ولم يزعجني ذلك لأنني كنت أعمل كثيراً.

○ ○ ○

١٧

الفئران أصدقائي في الليل

كان سقف الزنزانات التي كانت في بناء الكلية الحربية القديمة مطعماً للكلية. بني سطحها من الحديد والفئران تتجول بين قضبانها ليل نهار، ألم نقل للصغار فئران وللكبار جرابيع، ومن الملاحظ أن الفئران والجرابيع لا تلتقي مع بعضها. كل نوع من القوارض كان يعيش ضمن عائلة خاصة به، وأظن أن الجرابيع كانت تخرج من الثقوب والمجارير الموجودة في الصالة لتتمركز في القسم الأسفل من البناء، بينما كانت الفئران في القسم العلوي منها، الفئران فوق رؤوسنا والجرابيع بين أرجلنا، الفئران تتحرك في الليل.

كنت أعمل ليل نهار لكن كنت أعمل أكثر في الليل وخاصة في الساعات المتأخرة بعد انقطاع الضوء تماماً إذ كان الجو يبدأ بالبرودة شيئاً فشيئاً. ولكي أحمي جسمي من البرد كنت أفتح الصوفا وأضع الحرام الصوفي نصفه تحتي والآخر فوقي.

كانت الفئران تملأ زنزانتي تسير بشكل جماعات من خمسة إلى عشرة فئران وهذه المخلوقات جبانة وحساسة جداً بمجرد تحريك إصبع واحدة كانت تهرب وكنت أنتظر عودتها ثانية كل عشر دقائق

وهكذا بدأت شبه لعبة بيني وبينها، فكرت بحيلة كي أسحبها إلى زنزانتي رحت أنثر فتات الخبز وفضلات الطعام من الباب إلى فوق حرامي على الطاولة (وهي قطعة خشب كنت أكتب عليها) وأنتظرها

دون حراك، كانت تعود ببطء واحدة تلو الأخرى وتبدأ بقرض الخبز والطعام لكن بخوف وحذر شديدين حتى راح بعضها يصعد إلى فوق ركبتي لتأكل الخبز الموجود فوق الخشبة، ودامت هذه العلاقة ليال طويلة.

كنت أراقبها عن كثب وهي تأكل الطعام قرب يدي وقريباً من وجهي بعد أن تكون قد أحست بالأمان وذلك لقلة الحركة لدي.

كانت جميعها متشابهة لا يمكن التفريق بينها وكنت أتمنى أن يقترب مني بعضها لتعتاد علي فأتسلى بها وأحبها.

وبأقل حركة مني كانت تهرب مسرعة فإذا تنفست أو حركت رموشي أو مسحت مخاطي تختفي خلال أقل من ثانية.

وهذا يعني أن صداقة الفئران صعبة جداً ومع هذا استطعت أن أصادقها بعض الشيء.

إذا سألتكم عن حبكم للفئران فإنني أعرف الجواب سلفاً

ستقولون: لا نحبها. وبعضكم يشمئز منها ومن الطبيعي ألاّ تحبوها وليس هناك أي سبب يجعل المرء يحبها.

قبل أن يحب الإنسان أي شيء عليه أن يعرفه عن كثب سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً. وهذا الشيء يجب أن نعاشره بعض الوقت فإذا كنتم لا تعرفون شيئاً عن الفئران أو لم تعاشروها فكيف ستحبونها؟ لقد أصبحوا أصدقائي في الليل، في زنزانتي المظلمة ضمن المعتقل العسكري. لقد تخلت عن خوفها رويداً رويداً وأعتقد لو أن صداقتنا دامت عدة أشهر لكانت تلعب بيدي وتصل إلى أعلى كتفي، تعرفت خلالها إلى أثنين أو ثلاثة منها. وأظن أنه يمكن للإنسان أن يجعل جميع الثدييات أليفة ومنها الفئران لأن لديها بعض صفات الإنسان مع الاختلاف الكامل.

تعرفت أولاً على الفأر الذي كان يأتي أولاً، صرت أميزه عن غيره لأن خوفه كان أقل من الآخرين بسبب إقترابه مني أكثر من غيره.

وهكذا اكتشفتْ تلك الفئران أنني لا أشكل خطراً عليها أبداً.

كان ذلك الفأر قد بدأ التعود علي وراح يصعد إلى الخشبه التي كنت أكتب عليها وينظر إليّ بعينيه الصغيرتين اللتين تشبهان رأس ابرة صغيرة. يحرك شاربه الصغير في كل الاتجاهات، هكذا بدأت الفئران تأتي إلى زنزانتي من كل الاتجاهات وتملأ الجو بشبه ضجيج خافت من حركات أظافرها وهي تمسح الأرض والجدران.

لا تظنوني مغرماً بالفئران لأن حبي لها في تلك الزنزانة سببه الوحدة التي كنت أحس بها، لأنني عاشرتها وأصبحت بيننا شبه علاقة، مما جعلني أصرف بعض وقتي وجهدي معها.

هناك فئران كثيرة في جمعية نيسين، الكبيرة والصغيرة ولها أضرار فظيعة جداً، حتى أننا لا نسمح لفئران الحقل بالدخول إلى هناك.

لأنني أقتلها بشكل جماعي إما بالسمّ أو الأفخاخ، ولا أحس تجاهها بأية شفقة لأنه لا يربطني بها أية علاقة وأنا لا أعرفها ولم أضِعْ وقتي وجهدي معها.

في النهر الأسود الذي يسيل أمام الجمعية، تعيش الأسماك والسلاحف وبعض أنواع فئران الحقل، لم أحبها يوماً ولن أحبها. ولم أحاول قتلها لأنها لا تضر بشيء للجمعية والأطفال والحديقة.

ـ آ آ... هؤلاء أيضاً من البشر

ما اسم ذلك الجنرال؟ انظروا إليه إنه أمر محيّر لقد نسيت اسمه مع أنه كان جنرالاً معربداً... قاسياً،

ولماذا كان قاسياً بهذا الشكل؟ من يدري؟

أنا شخصياً نسيت أسمه وأعتقد أن أولاده النازلين من صلبه سينسونه بعد جيلين أو أكثر.

لم أعد أذكر المنصب الذي كان يشغله آنذاك أثناء وجودنا في المعتقل، هل كان قائد الإدارة في استانبول أم معاوناً للقائد، أو شيئاً من هذا. لقد أصبح فيما بعد قائداً لمنطقة «أنقرة» وبعد الانقلاب العسكري الذي جرى في ٢٧ نيسان عام ١٩٦٠م قبض عليه وسيق إلى محكمة «ياسي آدا» ورأيته هناك في المحكمة

إن جرأة بعض الناس نابعة منهم، وبعضهم يأخذونها من مواقعهم، من ثيابهم الرسمية، من مسدساتهم التي يحملونها، شاهدت ذلك في المحكمة من رجال أشداء استمعت إليهم.

أما ذلك الجنرال الذي نسيت أسمه كان صامتاً وخائفاً، وكان يفترض أن يأتي إلى المعتقل للتفتيش، والذي أخبرنا ذلك الرقيب ذو الوجه القبيح والروح الحقيرة، كان إنساناً تافهاً مريض الروح والجسد

كان يحب الضجة والازدحام ويحاول بشتى الوسائل خلق المشاكل لنا في المعتقل، ولأنه كان الخيط الوحيد الذي يوصلنا بإدارة السجن سبب لنا المصاعب الكثيرة. كان علينا كالكابوس الثقيل.

في صباحٍ أحد الأيام صرخ بنا بفرح ذلك الرقيب الذي يعلو الشر وجهه: كلٌ إلى زنزانته، بسرعة، سنغلق الزنزانات. ولن يخرج أحدكم لأن الجنرال سيأتي وهو بنفسه الذي نسيت اسمه وعرفته فيما بعد من الجرائد إنه «نامق أورغوج» سيأتي لتفتيش الشيوعيين. إنه الاسم الذي أطلقوه علينا الشيوعيين.

دخلنا الزنزانات وأغلقوا الأبواب علينا وزاد عدد المنادين وراحوا يعاملوننا بقسوة وضراوة. بقينا ساعتين، ومنعوا دخولنا المراحيض حتى قدوم الجنرال الذي نسيت اسمه

انتظرنا ونحن ننصت لزقزقات مفاصل الأبواب وصوت السلاسل التي تصطدم بالحديد، ووقع خطا العسكر القوية على الأرض، سكون لا نهاية له، وعرفنا أن الجنرال الذي نسيت اسمه قد جاء عندما بدأت الأبواب تفتح بشكل متسلسل كل عشر دقائق يفتح باب ويغلق آخر، وكان يطول الوقت في بعض الزنزانات، والمحيّر في الأمر أننا لم نسمع صوت ذلك الجنرال الذي نسيت اسمه، ولا أصوات رفاقنا في باقي الزنزانات. كنت أضع أذني على الباب لكي أسمع لكن لم أسمع أي شيء سوى أصوات الأبواب عند فتحها وإغلاقها. فتح باب زنزانتي بقوة واصطدم بالجدار، كان الجنرال وقد وقف تحت إطار الباب المربع كصورة بالألوان، بقيتُ منتصباً كالعمود انظر إليه، وينظر اليّ لمدة من الزمن، في البداية نظر إليَّ من أسفل قدمي إلى رأسي وأعاد النظر ثانية وبالعكس، كان يتفحصني بنظراته وكأنه يبحث في جسدي عن شيء مهم وكأنه يقول في أعماقه: ما هؤلاء البشر، كان ينظر باهتمام بالغ من رأسي إلي قدمي ومن قدمي إلى رأسي، ربما سيقول لزملائه إنهم بشر مثلنا تماماً وكما كان يتفحصني بدقة من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس كنت أنا أيضاً أبادله النظرات، وبينما نحن هكذا اقتربت بعض الأصوات المألوفة منا، والعسكر الواقفون وراء الجنرال الذي نسيت اسمه لم يعرفوا مصدر هذه الأصوات، أما أنا فقد عرفتها، انها أصوات أرجل أصدقائي الفئران الذين أتوا لزيارتي في هذا السكون العام. فلو أنهم أحسوا بأقل حركة لما حضروا، ربما دهشوا كثيراً عندما رأوا الجنرال ومرافقيه، فروا بسرعة من بين أرجلهم وكان منظر الجنرال مضحكاً إذ مر عشرون فئراً من بين ساقيه دفعة واحدة، فقفز إلى الخلف مرعوباً، لقد قطعت عليه مشاهدتي وتفحصي ولم يبق سوى ثلاث دقائق في زنزانتي، أغلقوا الباب علي وفتحوا باباً آخر ورحت أضحك وأضحك مدة طويلة.

ومن العجيب أن الفئران لم تأتي لزيارتي تلك الليلة ظانة أنني قد نصبت لها شركاً. وفي الليلة التالية بدأت الفئران بزيارتي وببطء. كان ذلك المنظر المضحك لا يفارق مخيلتي.

كان التفتيش غريباً وكأننا اتفقنا على أمر واحد وهو عدم التكلم مع الجنرال الذي جاء للتفتيش، فلم يطلب أحدٌ منه أي شيء أو حتى يسأله أي سؤال. منها مثلاً لِمَ تسجنوننا؟ أو لماذا نحن في المعتقل؟ لم نطلب الشفقة أو الرحمة أو الرجاء.. وأظن أنه كان ينتظر طلب الرحمة ليبدو كبير القدر بأكبر من حجمه وما أن انتهى التفتيش وفتحت الأبواب التف حوله السجناء وأمطروه بوابل من الأسئلة التي لا تنتهي.

- لماذا نحن هنا؟

- ما هو ذنبنا؟

- لماذا سجنتمونا؟

- من أين لكم الحق باعتقالنا هنا؟

أسئلة قاسية وأكثر الملتفين لم يكونوا في الزنازين؟ وكنت على ثقة بأن الجنرال لم يكن يعرف سبب وجودنا هنا وربما جاء إلينا فقط ليرى الشيوعيين وهل هم بشر عاديون.

كانت شفتاه تتحركان عندما كانت الأسئلة تطرح عليه ولم يفهم أحد ما صدر عنه من كلمات لأنه كان يتكلم بلهجة عسكرية قوية. أما كاتبه فكان يتمتم ببعض الكلمات.

لم يلبث الجنرال أن خرج من الدائرة ببطء وهو يجيب على الأسئلة وانتهى التفتيش.. وأعود إلى قرارات محكمة «ياسيّ آدا» صفحة ٢٦٦.

الشاهد نجيب بوزكور في قيادة الأحكام العرفية أثناء الأحداث:

«في احدى الأيام قال السيد «نامق أرغوج» قائد الأحكام العرفية: إذا قمتم بالإدلاء بأي كلام أمام المعتقلين والسجناء سأضربكم بقسوة» صديقنا (رفيق أردوران) يكتب مذكرّاته عن الحرب الكورية التي تطوّع فيها في صحيفة «كوناش» الشمس قال: عن الجنرال «نامق أرغوج» في العدد السابق في ١١ شباط ١٩٨٧.

في نفس اليوم الذي استلم القيادة من الجنرال تحسين يازجي، أي الجنرال نامق أرغوج رحمه الله، الذي توفي في بداية هذا العام (١٩٨٧) كان يقول كل مايفكر به في أعماقه، يمزج اللطف بالقسوة، صعد إلى تلة مرتفعة وأشار بيده إلى مجموعة التلال وقال حرفياً:

انظروا جيداً، ان العدو موجود دائماً على هذه التلال، وعندما تستولون عليها سيقتلونكم! وإذا لم تسيطروا عليها أنا من سيقتلكم!.

في الحرب الكورية تمتزج الكوميديا مع الدراما والصانع لها جنرالنا العزيز دون معرفة منه، يقوم بالأعمال الطيبة وأنا أقع في المكروه والحزن.

كانت قياداتنا تقوم بزيارة مواقع القيادات الصديقة الأخرى وبالعكس في تلك الزيارات كان الجنرال يتحدث وأنا أترجم ما يقول. لكن يبدو واضحاً أنه سيخلق مشكلة ما وذلك بسبب عدم لياقته في الكلام أثناء مناقشاته لو ترجمته بدقة، وكنت أترجم رغماً عني كيلا يفهم كلامه معكوساً فتنشأ مشكلة بين القيادتين.

وهذا مثال مما أقول: في يوم «الأنزاك» كان القائد الاسترالي قد دعانا إلى طعام الغداء في مقره وأثناء تناول الطعام وقف القائد الاسترالي رافعاً كأس شرابه الذي كان يحمله لنشرب نخب ملكة انكليزية قائلاً: «نخب أصدقائنا الأعزاء الجدد الذين كانوا أعداءً فيما مضى.»

فقام قائدنا وضرب الطاولة بقوة وصرخ:

ـ إن الشعب التركي قادر على تمييز عدوه من صديقه رامياً في البحر كلَّ من يحاول الهجوم على أرضه... نخب انتصارنا»

وجاءت الترجمة: لو كان الأمر عكس ما قلت كان أفضل، في البداية كنا أعداءً والآن أصدقاء الأتراك.

○ ○ ○

■ ١٨ ■

الرسالة التي ابتيعت

كان لا بد أن أتعرض أثناء وجودي في السجن لبعض المشاكل النفسية والجسدية وقتها أرسلت ثلاث أو أربع رسائل إلى السيد «يوسف زيا أورتاج» مما كنت أرسله إلى مجلة (آق بابا) وكانت هذه الرسائل تحمل في مضمونها ورغماً عني، الآلام والآمال والأحلام التي كنت أعانيها في المعتقل، وظروفه القاسية والظلم الذي كان يجتاحني، والضغوط النفسية والمادية التي كنت أعانيها حتى بعد خروجي من السجن، كنت أحبُّ كل هذه المعاناة على الورق الأبيض دون علمي مضمون تلك الرسائل ولم أكن أدرك ما أكتب من شدة المعاناة.

بعد خروجي من السجن ونتيجة لظروفي القاهره قررت أن أبيع إحدى رواياتي وهيأت لقاء مع السيد /نادر نادي/ في جريدة الجمهوريات.

استقبلني السيد نادر كعادته وبرقته المعهودة، وعندما بدأنا النقاش اتضح أنه لا يفكر بنشر روايتي في جريدته لكنه تناول موضوع الرسائل قائلاً: إن السيد «يوسف أورتاج» قد سمح له بقراءة رسائلي، التي أرسلتها أثناء وجودي في السجن وأنه (أى السيد نادر) قد أعجب بما حوته تلك الرسائل «انها رسائل قيمة».

كانت دهشتي عظيمة عندما سمعت منه ذلك فكيف يسمح يوسف أورتاج للآخرين بقراءة رسائلي؟... فكرت ملياً بالأمر بما أنه سمح /لنادر نادي/ بقراءة رسائلي فقد سمح للآخرين أيضاً. وبعد تحليل منطقي

توصلت إلى قرار أن السيد يوسف قد قام بذلك ليثبت للآخرين أنني على حق وذلك يوضح رأيي وفلسفتي في الحياة، ومن أجل هذا لم أسأله السبب.

مرّت السنون ومات يوسف زيا أورتاج، وأعلن البنك العقاري عن مسابقة في القصة والرواية وشاركت فيها بروايتي التي عنوانها:

(الأطفال الطيبون) وكانت لجنة التحكيم للمسابقة موقع ثقتي وأولهم «طاهر ألانغو» ولم يرشحوا روايتي للمرتبة الأولى نعم وبصراحة لم يرشحوني للمرتبة الأولى ولم أفز.

مرت السنوات وعرفت أن الفائز الأول «محمد سيدا» عندما جاء إليّ وكأنه قام بعمل مشين ضدي.

ويريد أن يكفّر عما ارتكبه ضدي. وشرح حيثيات نجاحه في تلك المسابقة وما جرى فيها من سلبيات، ومع شديد الأسف أن العزيز /محمد سيدا/ قد توفي أيضاً، فقد فقدت شاهداً آخر.

كان السيد محمد سيدا قد ذكرني أثناء حديثه عن المسابقة وكيف جرت.

وقال: إن السيد ناظم طشقند /مدير البنك/ كان ينوي اصدار مجلة اسبوعية وعندما ذكر اسمي أمامه طالبه بعض الموجودين بدعوتي للعمل في المجلة لكنه رفض الفكرة كلياً مدعياً بأنه يملك رسالة لعزيز نيسين وبخط يده وقد اشتراها بمبلغ كبير وهو يحتفظ بها عنده.

في الحقيقة دهشت كثيراً. من أين حصل على رسالتي ومن الذي باعها له؟

وهنا لا أريد أن أغفر لأحد ما لكن ساورني احساس عميق عندما قال السيد نادر نادي بأنه قرأ رسائلي إلى يوسف أورتاج، وهما صديقان حميمان أيعقل؟... كنت أنتظر لألتقي السيد محمد سيدا.. إلا أنه قد مات.

إنها رسالة وحيدة أيمكن أن يكون قد باعها يوسف واشترى بثمنها خواتم الخطوبة لي ولمرال والهدية التي قدمها لنا بعد الزواج وذلك وَلَّدَ هذا الشك في أعماقي. والأفضل أن أجد تلك الرسالة بين أوراق «ناظم طشقند» وأقرأها لأنني بشوق كبير لمعرفة ما فيها.

هدية عيد ميلاد:

يوم لن أنساه بعد أن عرفته، إنه يوم ٢٠ كانون الأول عام ١٩٥٥م في ذلك اليوم كانت مرام قد أحضرت لي الطعام ولعدم وجود موعد بيننا تركتْ الطعام وصورة لها وعلى ظهرها كتبت بخط يدها وليس على وجه الدقة «هدية عيد ميلاد.. أقبلك التوقيع مرال».

لم أكن أحتفل بعيد ميلادي سابقاً ولم أتلق أية هدية بهذه المناسبة وحتى لم أكن أعرف موعد عيد ميلادي. ظننت أن مرال تذكرني بعيد ميلادها.. واستغربت ذلك كيف ترسل هدية لي في عيد ميلادها خاصة صورتها. كان من المفترض أن أرسل لها أنا الهدية لكن عند لقائنا عرفت من مرال بأن ٢٠ ك١ عيد ميلادي والمسكينة لا تملك المال لذا أرسلت صورتها هدية لهذه المناسبة.. «لقد فعلت ما فيه الخير».

مواجهة بنادق فصيل من الجنود:

في أحد الصباحات كانت مرال قد أحضرت الطعام الموضوع بكيس، ولم يكن ذلك اليوم مخصصاً للزيارة. كان الباب الداخلي مفتوحاً والخارجي المصنوع من الشبك الحديدي مغلقاً. كنت أراها من خلال الثقوب الصغيرة والمسافة لا تزيد عن خطوات عدة. قالت شيئاً ما فأجبتها بالإيجاب ولم يكن الحديث مهماً وما كان من العسكري المناوب إلا أن صرخ علي وشتمها ثم دفعها بقوة، كان العسكري يحاول تطبيق النظام لأن الكلام واللقاء ممنوع خارج إطار الزيارات المحددة، هذا التصرف منه،

ودفعه لمرال أثارني بشكل غير عادي، فرحت أصرخ بصوت قوي وأعصابي منهارة والصراخ يزداد حاول رفاقي تهدئتي، وبعد نصف ساعة جاء النقيب /معاون مدير السجن/ العقيد مظفر لم نكن قد رأينا وجهه سابقاً. وهذا من حسن حظنا، فقد لقبته بـ /دوتجو/ أي بائع التوت، ولم يكن يعرف أصدقائي سبب هذه التسمية.

في السابق كان التوت أكثر انتشاراً في استانبول خاصة في حي «مجدية كوي» بدلاً من المساكن الموجودة الآن. وتلك الأكوام الهائلة من الاسمنت كان مكانها أراض خالية لا يوجد فيها سوى التوت الكثيف، وكان أهالي استانبول يذهبون إلى هناك للتنزه في العطل والأعياد.

كان بائعوا التوت يضعون توتهم فوق طاولات كبيرة جداً يحملها اثنان من البائعين واضعين فوق رأسيهما حلقتين من القماش كبائعي الكعك، كيلا يتضرر الرأس من الثقل المباشر عليه. وكانوا يصرخون: هذه هي ورود توب خانه /وهي منطقة مشهورة بزراعة الورود في استانبول/.

عموماً كان البائعون في استانبول أسياداً لمنازل الورد نظراً للباسهم المميز الذي كانوا يرتدونه.. ويتألف من قميص أبيض و جاكيت أسود بياقات مفتوحة ومنديل ظاهر. يضعون على خصورهم زناراً أحمراً، وكان خلف أذن كل بائع زهرة قرنفل، وأحذيتهم بأكعاب بيضاوية الشكل (ككعب الفنجان) كانوا حديثي العهد ببيع التوت يمسكون الطاولات / البسطات/ بأيديهم من الجانبين أما أولاد الكار /القديمو العهد/ كانوا لا يمسكونها على رؤوسهم بل أيديهم تلعب في الهواء... ولكي يصلوا باكراً كانوا يسرعون ومشيهم يشبه الهرولة. وهذا ليس سهلاً خاصة وكل منهم يحمل حوالي مئة كغ من التوت فوق رأسه وعندما يمشون ترى أحواضهم

تتحرك حركة واحدة مرة لليسار وأخرى لليمين وذلك لتتوازن مشيتهم حفاظاً على البسطة. ولذا كان بائعو التوت يمشون هكذا صدورهم مرتفعة وأيديهم إلى الأعلى والأسفل وتبقى هذه المشية تسيطر عليهم حتى خارج نطاق عملهم.

كانت مشية ذلك النقيب كمشية بائعي التوت، ناداني بقوة وبوجه صارم، خرجنا وهو يسير أمامي، وحولنا كان ينتشر فصيل من الجنود، عندما اقتربنا منهم أعطاهم أمراً بالمسير، وصلنا إلى أرض خلف الغرف التي كنا ننام فيها. توقفوا وكنت أقابلهم تماماً، أعطاهم أمراً بتلقيم أسلحتهم، ففعلوا ولم يلبثوا أن وجهوا أسلحتهم نحوي، بدأ يسبني ويشتمني بكل ما أوتي لسانه من الشتائم التي يعجز بائعو التوت على لفظها، قال:

ـ ولك.. أستطيع أن أمزق جسدك بالرصاص بحجة أنك كنت تحاول الهرب، لذلك قتلناك. من تظن نفسك؟ ستطيع الجنود المناوبون من الآن

كنت منتصباً كالتمثال، كان باستطاعته أن يقتلني ولم يكن الكلام يجدي نفعاً لكن أقول لكم الحق ربما لن تصدقونني وستقولون أنه يقوم بعرض عضلاته لكن وللحقيقة لم أخف في تلك اللحظة، ربما كان يحاول إخافتي إذ كان باستطاعته قتلي في أية لحظة وبسهولة، لكن أحسست بالقرف من ذلك الواقف أمامي.. مصاعب جمة وقاسية مرت علي في حياتي ولا أستطيع تذكرها جميعها حتى لم أعد أذكر لماذا دخلنا السجن. بعد هذا الموقف القاسي الذي مرّ علي أتذكر شتائم النقيب المؤذية والتي كنت أسمعها بوضوح داخل السجن.

كان النقيب يفاخر بنفسه في تلك الليلة لما قام به من بطولة صنعها ورأى أن في داخله إنسان عظيم ولا بد أنه أمضى ليلة جميلة.

عندما عدت إلى السجن سألني رفاقي عما جرى فرويت لهم باختصار، هناك أمور يمكن أن تروى للآخرين وهناك ما لا يروى ويعجز المرء عن نطقها، ولم أحكِ عن تلك الحادثة إلا هنا.

○ ○ ○

١٩

من قلم يوسف زيا أورتاج

يقول يوسف موضحاً الأحداث في كتابه «طلعتنا»: منذ عام ١٩٢٣ حتى الآن أذهب سنوياً إلى الجزيرة الكبيرة أقضي بضعة أشهر في نادي الأناضول بعيداً عن الضوضاء والروتين، أتمتع بطعم الحياة الهانئة هناك. لكن كنت أمر على مجلة /آق بابا/ لثلاثة أيام، وعند ازدحام العمل كنت أقضي الليل في منزلي، وأعود إلى مكتبي صباح اليوم الثاني.. ومضى هذا الصيف كغيره /أي عام ١٩٥٥ أحداث ٦ ـ ٧ أيلول/ سرت على الجسر ماشياً أراقب الخليج الذي اكتسب اللون الأرجواني

حي باي اوغلو كان غاضباً ذلك المساء بشر كثيرون غاضبون يحملون الأعلام التركية وصور أتاتورك. كانوا ينحدرون بكثرة نحو حي التقسيم، وسيارات الإطفاء تملأ جانبي الطريق والجندرمة «الشرطة الخيالة» تلف الشوارع محدثة أصواتاً رتيبة بحوافر خيلها.

تناولت عشاءً بسيطاً في مطعم عبد الله أفندي وذهبت إلى البيت، لكن عندما سمعت الأصوات في الشارع، خرجت بسرعة. يا إلهي ماذا أرى؟ إنها القيامة، الواجهات تضرب بالحجارة والزجاج يُكسر، لا يوجد سيارات أجرة ولا حافلات، رحت أمشي قرب الجدران ببطء شديد.

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى «آق بابا» بدراجة مشيت فوق أنقاض الأقمشة الممزقة المكدَّسة، عزيز نيسين لم يكن في المجلة، عدت إلى الجزيرة الكبيرة دون أن أراه، اتصلت به في اليوم الثاني ولم يحضر.. وبعد يومين

علمنا بأنه اعتقل لكن لماذا وكيف؟ غير مهم. طالما أن اسمه في سجلات الشرطة والحكومة تبحث عن مذنبين، فاعتقاله أمر طبيعي وهذا ما فعلوه عندما بدأت المحكمة تبحث عن مذنبين لأحداث ٦ ـ ٧ أيلول، كنت حزيناً جداً لأجله ولهذا الظلم الواقع عليه، لا يعلم ما جرى وكان يحلم ببناء بيت جديد بعد أن يتزوج، كان يفكر بقضاء أيام سعيدة ومستقبل هانيء مع مخطوبته التي جاءت من جوروم.

كان عزيز نيسين ضابطاً قديماً وكاتباً لا مثيل له، كان انساناً معذباً لكنه لم يصل إلى ما يطمح إليه ولهذا كان حزيناً.

يعطي للأدب التركي رفداً رائعاً وآثاراً لطيفة من الدعابة والفكاهة. ولكن الدولة التي كانت يجب أن ترعاه لم تعطه شيئاً، فهو إنسان له حقوق كالحرية الشخصية على الأقل، كان يعتقل عند كل حادثة أو حركة تقام هنا أو هناك يدخل السجن لكن أي سجن...؟

(ظلام ورطوبة)، وحسب ما أعتقده كان يوسف زيا موجوداً عندما أخذني المفتش المدني ذلك اليوم إن لم تخني الذاكرة.

كانت الأحكام العرفية قد فرضت في استانبول بكثرة.

في أحد الأيام تلقيت رسالته، كانت قادرة أن تُبكي الحجارة من شدة معاناتها، وكان يطلب مني أن أساعده في خطوبة مرال خلف الأسوار. ومرت عدة أشهر ولا تظنوا أنه أسرع من السجن إلى المحكمة.

ليعقد قرانه على عروسه وليدخل القفص الذهبي.

ooo

■ ٢٥ ■

أطفال الجمهورية الذين لا علاقة لهم بالعالم

منذ وقت طويل والصحف تكتب عن ظهور مجلة فكاهية ساخرة بعنوان «دولموش» أي المليء، وعندما صدر العدد الأول قرأت عدداً منها كان صاحبها السيد «إلهان سلجوق بالاشتراك مع شقيقه الأكبر «تورهان» ومموّلها السيد «عثمان كرمان» الرجل الصناعي الكبير الذي يملك شركة للغزل والنسيج، وهو حكم من حكام كرة السلة ايضاً.

كان شكل المجلة الخارجي متقناً وهي ساخرة فعلاً ويبدو ذلك من مقالها الافتتاحي بعنوان التحدث إلى القارئ.

كان الاخوان سلجون قليلي الخبرة في شؤون الحياة العامة ولا علم لهما بما يجري من تطورات في العالم، يتمتعان بنية صافية وطيبة قلب، عموماً كانا شابين لا بأس بثقافتهما، لأنني عاشرت إلهان مدة من الزمن.

ركّزت المقالة الافتتاحية بقوة على أن ناشر تلك المجلة هو دولموش أوسرفيس أي الأخوان سليمون وهما من أطفال الجمهورية الذين ترعرعوا في أحضانها ونالوا ما نالوا منها.. تعرفت إلى إلهان في السجن عندما اعتقلنا في ٦ ـ ٧ أيلول.. لم أكن أعرفه من قبل، المهم أنني وجدت نفسي مجبراً بالرد على تلك المقالة بعد قراءتها بإمعان، واستنتجت منها أنها تُبعدني وتضع الذين هم من أترابي خارج المعرفة (كان عمري آنذاك حوالي الأربعين عاماً).

وربما نسيت الحادثة لو لم يقرأ إلهان سلجون الردّ الذي أرسلتهُ المجلة وقتها أثناء الاحتفال بعيد ميلادي السبعين.

جاءت المقالة الافتتاحية للمجلة آنذاك على النحو التالي:

بعنوان التحدث إلى القارئ

بعد قراءة الافتتاحية كتبت رسالة إلى إلهان أرسلتُها مع مرال لتضعها في صندوق البريد، ونشرت تلك الرسالة في العدد الثاني للمجلة، لكن الغريب في الأمر أن كاتب الرسالة لم يكن معروفاً لأن الجرائد والمجلات كانت تمنع كتاباتي أو تنشرها دون ذكر اسمي عليها.

بقيت الحال هكذا تسع سنوات من ١٩٤٨ - ١٩٥٧، لم يظهر اسمي في الجرائد بل في المحاكم.

اعتقل عزيز نيسين، حكم على عزيز نيسين بكذا...، فُتح ملف لعزيز نيسين وأقيمت ضده دعوى.. هكذا كان يظهر اسمي، وليس بكاتب قصة أو مقالة أو رواية.

والرسالة نُشرت بعنوان «رسالة من أحدهم» وهذا نصها:

«عزيزي إلهان، قبل كل شيء أتمنى النجاح والتوفيق لمجلتكم دولموش. الحقيقة إنها غزيرة وتناولت كل شيء، لقد تأثرت كثيراً بمقالها الافتتاحي لهذا قررت أن أكتب إليكم.

كنتم تحاورون مجموعة من القراء عن المجموعة الشابة التي تعمل وتكتب من أجلكم، نعم إن طاقم المجلة شباب وأعمارهم لا تتجاوز الحادية والثلاثين يعني نحن أولاد الجمهورية».

عندما قرأت هذا، ضربت يدي على رأسي وقلت آه.. لقد مرت السنوات وتجاوزني العمر لأنني في الحادية والأربعين.. لماذا ذكرتموني بعمري، هل كان من الواجب أن تفعلوا ذلك؟

أتمنى أن يصدر أحدهم مجلة فكاهية ليكتب هذه الجمل، ويقابلكم بكلماته

«إن طاقم هذه المجلة ومحرريها من مواليد ١٩٤٦ وأكبرنا في العاشرة من عمره. جئنا من حديقة الأطفال لتونا.. نحن نسل الديمقراطية».

كنت أقلب الصفحات وأنا حزين من أجل عمري وفجأة رأيت (ليرزقكم الله حسب نواياكم) توقيع «رافي جواد أولوناي» هل هذه فكاهة وهل يوجد أكبر منها.

ترى هل اولوناي في عامه الثاني والثلاثين، من طاقم مجلتكم أو ملاكها بل إنه بمنزلة الأب لها، وأنتم تقولون أنكم أولاد الجمهورية. لقد فهمت قصدكم، هذه الجمهورية ليست التي نعرفها، ربما هي في الماضي السحيق لا نعرف عنها شيئاً.. نعم هكذا..

يتفاخرون كونهم من أبناء الجمهورية، لكن عمرهم لا يتجاوز الثانية والثلاثين من أقام الجمهورية وأعلنها آنذاك، كان في حوالي الثانية والأربعين من العمر عزيزي إلهان. يقولون لا يقاس عمر العقل بالسنين، بل بما اكتسبه المرء في رأسه من ذكاء وخبرة.

لا تتفاخروا بأنفسكم وأعماركم بهذا الشكل كيلا أتألم ومن هم في سنيّ.

سلامي إلى ملاك أم مجلتكم.. وأقبل أيدي ملاك أبيها وأتمنى لكم التوفيق والنجاح.

○ ○ ○

٢١

احضري لي من عيونك حزية

أكتب الشعر منذ نعومة أظفاري، لكن لم أنشر منه إلا القليل، نشرت ديواني الأول عندما كنت في التاسعة والستين تحت عنوان /من النهاية إلى البداية/. والديوان الثاني كنت في الحادية والسبعين تحت عنوان «للموت خمس درجات وعشر قلاع».

في السجن كنت أكتب الشعر، أسميت إحدى القصائد التي كتبتها آنذاك /عشر دقائق/.في هذه القصيدة حاولت توضيح أحاسيسي ومشاعري تجاه مرال التي التقيت بها مرة في عدة عشر دقائق، بعد خروجي قررت أن أنشر ديواناً ثالثاً وكان الديوان سينشر بعنوان قصيدة / العشر دقائق/ لكن لم يكن اسم عزيز نيسين مشهوراً إلا بالفن الساخر، لهذا خشيت الانتقادات إذا نشر الديوان باسمي، طبعت منه ١٥٠٠ نسخة في مطبعة الصديق إلهان سلجوق، ولم يكن قد بدأ بالكتابة حتى ساعتها. طبعته باسمي الأصلي /محمد نصرة/ ولمّا لم يعجبني العمل قمت بإحراقه عدا خمس نسخ احتفظت بها لنفسي.

وأشد ما أثار دهشتي، موقف مرال، إذ لم تحاول الاهتمام بهذه القصيدة التي كُتبت لأجلها أو أية كتابة أخرى أثناء فترة زواجنا الذي دام أربعاً وعشرين سنة، لم تقرأ أو تنقد أو تلتفت إلى كتاباتي بأية طريقة، وكما أسلفت كنت محقاً في عدم نشر ديواني الشعري باسم عزيز نيسين، لأنه حدث كما كان من ثلاثين سنة خلت عندما نشرت ديواناً

بعنوان «من النهاية إلى البداية» باسم عزيز نيسين الذي أدى إلى نقد حاد من قبل النقاد وحتى القراء.

كانت المقابلة مع مرال تدوم عشر دقائق فقط، وبعد انتهاء كل مقابلة، كان ذاك القبيح بداخله وخارجه، يضرب يده بيدها وهو يبتسم ابتسامة صفراء وهو يقول:

ـ تمام... ام.

وكانت مرال تسألني ماذا سأحضر معي الأسبوع القادم.

كنت أقول لها: احضري لي في عيونك حرية.

وسأنقل الآن القصيدة بحرفيتها ربما تعكس صورة صادقة عن وضعي النفسي والخاص آنذاك لأنني كتبتها بشكل مؤقت في تلك اللحظة.

عشر دقائق

عشر دقائق ويداكِ في أحضان يدي

تستقرين في قرارة عيني

عشر سنين في سجني وأنا ألمح ابتسامتك

لا أرتوي من قراءة الحب في عينيك

الجلادون من الشرطة أحاطوا بي

لم يستطيعوا هدم جدار حبي

لأن حبك زهرة نبتت في السماء.

كيف حالك؟

أنا بخير.. أين بقيت كلماتي الجميلة؟

في أعماقي رغبة أن آخذ وجهك بين يدي

إن أجمل الفصول في استانبول هو فصل الخريف

إنه موسم الحب واللقاء
من الواضح أنهم يحاولون جعلنا مجنونين
لأننا نجيد بقوة ضحكة المحبة
صدِّقيني لم يغمض لي جفن
في ليلة الزيارة كنت أفكر
ماذا أستطيع أن أهب من القلب
من الحب
ما كان لي إلا أن أكتب هذه الرسالة
هناك كلمات يجب أن أرسلها لك
ولكنهم يمنعونني
الجلادون من الشرطة يحيطون بي
من أمامي ومن خلفي
كل شيء أصبح شرطياً
الهواء والماء
شرطي.. شرطي.. شرطي..
أفكر بأمور كثيرة
يجب ألاّ نسكت
ويجب أن نفعل كل ما يجب فعله
أن نفكر بالرحمة لإيضاح الظلم الكبير
ويجب أن نفكر بسلام نهائي بإعلان حرب كبيرة
كل الدموع التي في عيوننا

هي من أجل أن يعيش أطفالنا فرحين دائماً
إذا رزقنا بنتاً يا حبيبتي
فلنسمها ضحكة
ما رأيك؟
لماذا لا يتركون الناس يحبون بعضهم
هذه الأيدي.. هذه الشفاه
هذه العيون
حتى الحب يضعون الحراس عليه
الآن أريد أن أُضحك الناس
أكثر من قبل
إن هذا الحب شيء مختلف يا روحي
لقد حلّ الصباح
أنا الآن غارق في بحر من الفرح
لأنك ستأتين
حلقت ذقني بما فيه الكفاية
وأصبح وجهي ناعماً جداً
سرحت شعري لأجلك فقط
لا أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت
سأراك.. عشر دقائق
وسأقول كيف حالك؟
وستقولين وأنت؟

وسنصمت بعد ذلك
أبقى مغموراً بوداعك
مع السلامة. ثم سيفتح القفل
وستغلق الأبواب.. كل الأبواب
وسأقول لك من أعماقي في الزيارة التالية
أحضري لي معك حرية في عينيكِ.

○ ○ ○

٢٢

آه وَلِكْ يا عربات البقر

في الكتابة خلاصي الوحيد، وطاقتي الخلاقة في كل الظروف القاسية والشروط الصعبة في الأماكن الخانقة، باختلاف نوع المكان الذي أكون فيه. سجناً عادياً.. أو زنزانة لا تتسع لشخص أو معتقلاً كما هو الآن. أو أبواباً مقفلة بدون عمل، أنفجر ضجراً وكآبة وأصاب بالانهيار، إن منعوا عني القلم والورق وحصل كثيراً أن منعوا عني الكتب والأقلام والورق، ومع هذا كتبت على جدران المعتقل، حفرت بأشياء مدببة الأفكار التي أود كتابتها بأعواد الثقاب، حفرت كيلا أنسى مخططاتي ومشاريعي وعندما أذن لي بالقلم والورق كنت أترجمها إلى أعمال فنية كاملة.

كما أسلفت أستطيع أن أكتب في أقسى الظروف لكن لا أستطيع الكتابة في أماكن وسخة وضيقة، ما العمل؟ كل السجون والمعتقلات وسخة وضيقة، هل يستطيع الانسان أن يعيش فيها بشكل طبيعي، ويحول هذه الأماكن إلى أماكن قابلة للعيش ومتسعة؟ نعم يستطيع فعل ذلك روحياً ونفسياً، إذن كيف أستطيع أن أفعل ذلك؟ بالعلب الفارغة، والكبريت، والأوراق الداخلية اللماعة لعلب التبغ، من الطوابع الموجودة على الرسائل، أرسم على الجدران أزركشها ألوّنها بالأوراق. أفعل كل هذا فأحول المكان إلى جنة صغيرة كبيرة، أعوّد نفسي على تلك الألوان والأحجام وبعد زمن وجيز يتحول الحجم الصغير إلى نسخة معقولة.

حاولت أن أوضح ذلك شعرياً بعد ست وثلاثين سنة لأحداث ٦ ـ ٧ أيلول.

شعر «أنا الآخر لي بطولات لا تشبه بطولة أحد
لا تغير شيئاً
أنا الآخر لي بطولات وبطولات صغيرة وصغيرة جداً
لا تساوي قرشاً
أستطيع أن أجعل الأماكن الضيقة واسعة جداً
بحيث تبدو أوسع من العالم
حتى القيود أحولها إلى عوالم أخرى
حيث يمكن العبور إلى الكواكب بحرية أكثر
وألوان الزنازن بلون النور
فتبهر عيون الناظر إليها
وأحوّل القيود إلى أجنحة
تنافس الطيارات في الجو
وأحوّل وحدتي إلى زحام كبير
بحيث لا تتسع الساحات لها
وأستطيع أن أجعل المرأة التي أحبها جميلة
حيث لا مثيل لها في العالم»

لقد غيّرت ثلاث غرف أثناء وجودي في معتقل الحربية، وكلّ غرفة كنت أنزل فيها، كانت جدرانها مليئة بالبصاق الجامد والأوساخ الأخرى التي كانت تعج بها الغرف، بداية كنت أنظف تلك الأوساخ بنعل حذائي الذي كنت أستخدمه كمسّاحة للجدران، ثم أزركشها

بالأوراق والكتابات، وبكل ما يقع بيدي.

في إحدى الغرف كتبت بواسطة حبل كنت قد حزمت به أمتعتي، كتبت به هذه الكلمات: «آه ولك آه يا عربات البقر»

كانت هذه الكلمات تستخدم كثيراً في السجون، وأكثر من كان يستخدمها أصحاب السوابق كانوا يوجهونها لمديري السجون بسبب سوء إدارتهم.

كانت الكلمات التي كتبتها بالحبل قد أضافت جمالاً إلى الغرفة بالنسبة لي شخصياً. وفي السجون الأخرى كنت أربي القطط والكلاب وأزرع الورود والأزهار المختلفة، وفي إحدى المرات كان لدي ديك وأربع دجاجات في أحد المعتقلات السياسية.

كنت أهيء لنفسي وسطاً مريحاً للكتابة والإبداع بواسطة الزخرفات، وكان زملائي يأتون من وقت لآخر ليروا غرفتي النظيفة والأنيقة.

في أحد الأيام جاء مدير السجن العقيد مظفر، نظر إلى غرفتي «ربما أخبره ذلك العريف القبيح، دخل غرفتي وألقى نظرة على ما كتبت بحبل الغسيل ابتسم ثم ذهب.. ثم عاد ومعه ضابط آخر فتحا الباب وراح العقيد مظفر يريه الزينة والكلمات المكتوبة.. ابتسما وخرجا، لم يقولا لي شيئاً ولم يسألاني عن معناها.. ربما كانا يعرفان ما تحمله تلك الكلمات من معانٍ.

○ ○ ○

٢٣

الهروب من السجن

لم أصدق أبدا الخبر الوارد من خارج السجن بأنهم سيعدموننا، إذ كانت الأجواء السياسية في البلاد تنفرج بالتدريج، حتى وسائل الإعلام عرفت المذنب الحقيقي وهو الحكومة، والجريدة الوحيدة التي كانت تدافع عنّا هي /فوروم/ وهي أكثر ديمقراطية آنذاك. وقد دافعت عنا بشكل علني. كان باستطاعتهم إدانتنا وسجننا خمسة عشر عاماً، وذلك بسبب العدالة المنهارة وأحكام القضاة الجائرة ومواقفهم المتطرفة غير العادلة، واعتقد أنه ليس هناك انسان في تركيا يستطيع اقناعي بأن العدالة والقضاء والمساواة والضمير أشياء مقدسة، وأنها تحترم الفرد والمجتمع بشكل عام.

لقد وقعت كثيراً بين أنياب تلك العدالة الجائرة، وفي كثير من المرات مذنباً وأنا برئ وأحكام أخرى فرضت علي ولم أقم بأي ذنب.

وأحب أن أضيف أن العدالة الملتوية طالت الشرطة بدوائرها، والتحقيقات الأمنية المختلفة والنيابة العامة والمخابرات، وكل هذه الأمور السيئة في هذه الأقسام كانت منطبقة لديهم مما أدى الى سجن الكثيرين واعتقالهم لعدة سنوات مع غياب العدالة.

إذن أنا محق في نقدي للعدالة في بلادنا.

بقينا أربعة أشهر دون أي تحقيق من أية دائرة أمنية حتى النيابة العامة، وكان بإمكانهم الحكم علينا بكل سهولة بحجة أنه لايوجد شاهد، لايوجد اثبات أودليل، لكن ماهو دليل اثباتهم في اعتقالنا طوال هذه

الشهور، هذا الظلم الذي تعرضنا له في أحداث ٦ ـ ٧ أيلول لم يكن هو الأول في حياتنا، لقد تعرضنا لظلم كثير قبل تلك الأحداث، وسيظل هذا الظلم واقعاً لمواطنين كثر في هذا البلد، وعلى مقولة المثل القائل:

«كل شاة برجلها تناط» والذي نردده دائماً.

ومن الأمور التي كان زملائي في السجن يناقشونها، متى سيخلون سبيلنا؟

أو متى سنحاكم، وهذه الأمور وغيرها كانت أحيانا تستمر من الصباح الى المساء ومن المساء الى ساعات الصباح الأولى.

نفس المواضيع والمناقشات، وكانت تتكرر دائماً مع نفس الأسئلة المطروحة وأعتقد أنها دون فائدة ولم تكن سوى إضاعة للوقت. ولهذا لم أكن اشترك في تلك المناقشات الإ نادراً.

وعندما كان زملائي يمضون وقتهم في المناقشات الفارغة، كنت أقوم بكتابة كتاب أوائنين في السجن.

كان كمال طاهر من أطيب الناس في العالم بطيبة قلبه. كان يستنتج كل ماهو ضدنا كان يقول صارخاً... إننا سنخرج من السجن بعد قليل ويؤكد ذلك أو ربما نخرج غداً أو بعد غد أو خلال أيام بتقديره، بقينا أربعة أشهر معتقلين ولو بقينا أربع سنوات لبقي يقول بأنهم سيفرجون عنا خلال اسبوع واحد.

كان وضعنا بتقديري إما أن يفرجوا عنا خلال خمس دقائق من الآن، وإما أن يحكموا علينا بخمس سنوات على الأقل، وتصديقاً لهذا الكلام طالبت محكمة /ياسي آدا/ في جلستها المنعقدة آنذاك بإعدامنا وهذا تأكيد لرأيي يطالب بإخلائنا خلال خمس دقائق أو سجننا خمس سنين. لأنني لاأثق بالعدالة ولابضميرها القائم آنذاك، لأن العدالة آخر مايريده الإنسان في حياته وإلا لامعنى للحياة بدون الحرية.

العدالة ليست لفظة مجردة، والذين يقومون على تطبيقها بشر عاديون مثلنا كالقضاة والحكام و.. منهم الجيد ومنهم السيء، منهم اليساري ومنهم اليميني والتقدمي والرجعي والديمقراطي والديكتاتوري.

فكرت في الصباح ماذا سأقدم لولدي الاثنين اللذين ليس لهما معيل في الأرض سواي، ماذا سيحل بهم إذا حكم علي بالإعدام، كيف سيعيشان وحيدين؟ قررت أن أهرب، والهروب من السجن ليس أمراً صعباً. كنت أستطيع التعلق بالسقف /وكان فيه عدة ثقوب/ أستطيع أن أخرج منها بسهولة، وكانت حالتي الجسدية جيدة، كنت رياضياً إلى حد ما ولم تكن الأمراض المتعددة قد غزت جسدي كما هو الآن، وقتها كان عمري حوالي الأربعين عاماً ولم أكن أعرف مرض القلب وارتفاع الضغط وضعف البصر وأمراض المفاصل، كل تلك الأمراض لم أكن قد عرفتها والهروب كما قلت لم يكن أمراً صعباً.

ماذا سيحصل لو هربت؟ عدة أمور كنت أفكر فيها طويلاً ومنها، سيعتبرون هروبي دليلاً قاطعاً على إدانتي مع زملائي، فلولا تورطه لماذا يحاول الهرب، وهل ثقته بالعدالة مفقودة لهذه الدرجة؟

ثم إلى أين كنت سأهرب وإلى متى؟ وكيف سأعمل لأعيل أولادي وأربيهم، حتى زملائي كانوا سيكوّنون نظرة سيئة عني، لأن مثل تلك الدعاوى الجماعية كانت صعبة جداً، إذا هرب أحدهم سيصاب الباقون بالجزع والتعب الجسدي والروحي، كل هذه الأمور فكرت فيها بهدوء ولم أصل إلى قرار.

أما بالنسبة للهروب إلى الخارج، فقد كنت أفكر به منذ وقت طويل، منذ كنت صغيراً وأنا أفكر بالهروب من البلد واستمر هذا حتى الخامسة والثلاثين من عمري، وقتها فقط فهمت أن أعمالي يجب أن تكون للوطن مهما كانت ظروفي قاسية، هذا الكلام لا يعني عتاب من يحب البقاء في

الخارج، ما أريد قوله: هذا الموقف عملية نسبية، البعض يحب البقاء خارج الوطن لأن ذلك يناسبهم والآخرون يقون متعلقين بالأرض والظروف مواتية لهم.

حتى الآن لم أتحدث سوى عن الهروب لماذا لم أستخدم كلمة الخروج، لأنهم لم يعطونا يوماً جواز سفر بشكل نظامي. فلو أتيحت لي فرصة الخروج من البلاد قبل الخامسة والثلاثين لكنت هربت دون تردد، ومن حسن حظي أن الفرصة لم تتح لي، وأصبح قراري بعدها هو: يجب أن أعيش في وطني وأموت فيه وأعمل فيه.

بقيت يومين متتاليين أفكر بالهرب وعندما وجدته مستحيلاً تركته بشكل نهائي. وكان تفكيري بالهرب من السجن لآخر مرة.

o o o

٢٤

حسنات يوسف زيا أورتاج

نحن البشر، خلقنا بجنسيات متعددة وألوان مختلفة منا الأبيض ومنا الأسود. ـ وأعماقنا كذلك، في إحدى المقابلات العادية أخبرتني مرال بأن «يوسف زيا أورتاج» قد أرسل رسالة إلى مركز قيادة الأحكام العرفية إلى «ذلك الجنرال الذي نسيت حتى اسمه وعرفته فيما بعد «نامق أرغوج» وقد حاول أن يمدحني في رسالته يقول ـ انسان طيب لا يتدخل في مثل هذه الأمور، تربيته جيدة، ممتاز في كل تصرفاته. إن يوسف أورتاج يحل أعقد الأمور برسالة منه يفتح أبواباً مغلقه برسائله حتى أبواب القلاع الكبيرة، يثق بنفسه كثيراً وبذكائه الحاد، وكان محقاً بهذه الثقة بنفسه وقلمه، كتب الكثير من الرسائل إلى شخصيات متعددة، فلو جمعت تلك الرسائل لأظهرت الوجه الأسود لتلك المرحلة.

في تلك الرسالة التي وجهها إلى قيادة الأحكام العرفية في استانبول، طلب من الجنرال نامق مقابله بلغة جميلة أخاذة لها جاذبية قوية.

لا شك أن يوسف أورتاج كان يحاول مساعدتي لكن ما كنت أريد منه أية مساعده فقد ساعد الآخرين وكشفهم سابقاً وكان سيفعل هذا معي.

حدثني عدة مرات عن /تورهان سلجوق/ عندما كان يغضب منه لأنه لا يرسم صوراً كايكاتيرية قال بالحرف: لي حق في رؤيته، لي حق في رؤيته يا عزيزي.

عرفت مغزى كلماته فيما بعد ليس من تورهان بل من غيره، أرسل رسالة إلى أحد الأطباء الاختصاصيين. لكي يعاين سلجوق بشكل جيد لأنه مريض.

هل تعلم يا عزيزي عندما جاء إلي كان يرتجف من البرد، لم يكن لدي ما أعطيه، أعطيته بنطالاً وقميصاً ومعطف ابني.

ومادام أعطاه هذه الأشياء لماذا يرسم الكاريكاتير للمجلة ؟

لقد توجست كثيراً من حسنات يوسف زيا أورتاج عليّ وأكثر ما خفت منه وقع، قال الكثيرون:

لقد قابلت من أجله خياطاً وكلمت الجميع بشأنه.

وأحب أن أضيف هنا شيئاً وهو:

إن الصحفي /حقي دفريم/ أقام مزرعته لتربية الحيوانات في «جاتلجا» بالقرب من جمعية نيسين، وكنا نلتقي من وقت لآخر على طعام العشاء.

بعد ثلاثة أشهر انتهيت من كتابي هذا «الرجال الذين سيلقون...» دعاني مرّةً لتناول طعام العشاء في مزرعته وكان معنا «زهني كوجومان» وأثناء حديث الذكريات تحدث حقي عن مناسبة تخصني، أي يوسف أورتاج، وقتها قرر أن يصدر المجلة وأثناء التحضير دعاه يوسف إلى مطعم في باي أغلو» ليتم التوقيع هناك.

وأحب هنا أن أضيف شيئاً آخر هو أن يوسف أورتاج كان يمتلك أسلوباً خاصاً في التعامل مع الصحفيين والكتاب الشباب الجيدين. كلما تعرّف إلى شاب يدعوه إلى مطعم فاخر ليؤثر عليه ويسيطر كما يريد، وصارت عادة لدى يوسف. في ذلك العشاء الذي أقام يوسف لحقي دفريم تحدّث عني بإسهاب، كيف تعرّف إلي لأول مرة وكيف كنت في حال صعبة جداً، وأنه قدم لي حسنات كثيرة وخلق مني عزيز نيسين المشهور.

عندما سمع حقي تلك الكلمات عن لسان يوسف زيا تراجع عن فكرة إصدار المجلة معه. وهل قدم يوسف لي الحسنات حقاً؟

لقد قدم الكثير من الخدمات والحسنات وسأذكر حسناته وخدماته عندما تحين الفرصة وسأذكره في كتابي «الرجال الذين مت معهم»، وأحس دائماً بأنني مدين له وسأحاول بقوة ردَّ تلك الديون وبكل الوسائل لقد غمرني يوسف أورتاج بلطفه ورعايته الكريمة من خلال كتابيه الرائعين (خلعنا، الصور) ذلك المديح الذي خصني به يوسف ومن يعرف ذلك المديح سيقول بأنني أنكر جميله وذلك لأنني لا أفهم بالرسميات.

لم يكن باستطاعة يوسف أن يخلصني مما أنا فيه إلا بالرسائل إلى الجنرال أو غيره لا بالمقابلات. لأنني لم أكن مذنباً ليخلصني من ذنب اقترفته. ولم يكن باستطاعة أحد أن يثبت علينا أي شيء.

مع كل هذا لم أر شخصاً يحمل في أعماقه عدة شخصيات كيوسف الذي يتلوّن كلَّ يوم بصور شتى، وبالرغم من كل مديحه وكتابته عني بشكل جميل وملاطفته لي كان له ردّ فعل سلبي تجاهي قولاً وفعلاً.

وقد دهشت كثيراً من تصرفه غير اللائق بعد اعتقالنا بيومين أو ثلاثة بسبب أحداث ٦ ـ ٧ ايلول.

كان مقتنعاً بأني مذنب ولي يد في كل ما جرى ويجري، ماكنت أتوقع ذلك من شخص مثله وهو يعرفني بدقة، وأظن أن تكين هو الذي أخبرني بذلك.

كانت مجلة آق بابا تنشر روايات بوليسية أثناء إدارتي لها وكان منصور تكين قد ترجم عدة روايات بوليسية عن الفرنسية، وعن طريقي نشر بعضها في المجلة، وعندما ذهب إلى المجلة ليأخذ أجوره /بعد اعتقالنا/ جرت مناقشة بينه وبين يوسف حول أحداث ٦ ـ ٧ ايلول

وقال له: إنني مؤمن بأن عزيز نيسين له يد في كل ما جرى وهو أحد

المدبّرين لذلك، وقتها قال منصور: لا تقل ذلك يا أخ، كان عزيز بصحبتي طوال تلك الليلة وعندما غادر منزلي كانت الشمس قد أشرقت، فإشتراكه في الأحداث مستحيل.

ومهما دافع وقال فلن يستطيع براءتي.

لقد فعلها... لقد فعلها.... أنت لا تعرفه جيداً، لقد قاد الأحداث وهو جالس في مكانه، وكان واثقاً وهو يتكلم عني بأنني سأحكم بأكثر من خمسة عشر عاماً بالأقل وعندما بعث برسالة للجنرال وقابله من أجلي ومدحني أمامه، كان قد توصل إلى براءتنا وبعد هذا ماذا تظنون! هل أجله؟ أم أكرهه؟. إنني أحبه كثيراً.

بياضه ناصع كالحليب وسواده كالح كالليل، سلبي بكل معنى الكلمة، وإيجابي بنفس المستوى.

○ ○ ○

٢٥

حسن أفلو قادم

في ذلك الوقت لم يكن اسم بابا المافيا قد وصل تركيا بعد، وحسن أوفلو كان أباً لكل الآباء، اسمه الحقيقي «حسن جواهر» نمت معه وقتاً في إحدى السجون العسكرية عام ١٩٤٨ وكان معنا في نفس المهجع، ملك الكازينوهات فخر الدين أصلان وشقيقه الأكبر «اسبرلي مصطفى، وعلي المعدوم»

ولن أعرّف حسن أوفلو هنا.

أصبحنا أصدقاء في السجن، والتقينا عدة مرات بعد خروجنا، كان يملك داراً للمقامرة تحت ستار وحدة الكتاب الأتراك، دعاني لزيارته عدة مرات إلى هناك، إلى ناديه، ذهبت ولا أعرف شيئاً عن عمله وأشيائه الخاصة. لأنه كان مغموراً وقوياً نستطيع أن نثق به.

عندما توفي ذاع خبره في الجرائد مع وزراء جدد وقدماء. لم تكن كنيته تخلو من جريدة، وسار أخوته وأبناؤهم بقوة على نهجه يتوسعون بأعمالهم في كل يوم.

أثناء وجودنا في المعتقل صاح رفاقنا:

ـ لقد جاء حسن أوفلو

ـ وأين هو؟

ـ في الخارج ـ إنه في الممشى

خرجت إليه تعانقنا بقوة ومعه ثلاثة آخرون

ـ ما الذي حصل؟

ـ تصور أنهم قبضوا علينا بتهمة النهب ـ تصور، ابتسم وخرج صوت من طرف فمه، إن حسن أوفلو لا ينهب ولا يسرق يخرج من العمليات الكبيرة بكامل نصيبه.

مرت ساعة أو أقل وإذ بمجموعة نساء متبرجات جئن لزيارته، وبعد قليل أحضروا له طاقم نوم كامل وجديد، ووضعوه في أوسع مكان في الصالة، فراش وثير ولحاف حرير، ووسادة مزركشة وبيجامات من الحرير الخالص، ثم أتوا بسلل وعلب الشوكولا الكثيرة.

وبقين تلك الليلة هناك.

كانت كلماته في اليوم الثاني غريبة جداً، لا يتأفف من النوم في أي مكان ولا مع أي كان وأضاف:

ـ يا أستاذ عزيز تصور أنني أكره البقاء مع الشيوعيين أينما كانوا، أحسُّ بالقرف والإشمئزاز منهم قال ذلك وكأنه أصيب بكارثة فظيعة في حياته.

لم أقل شيئاً وقتها، كان الرجل إنسان ينحرك بعقله ودهائه وتجاربه أكثر من قوته المعهودة، وبما أنه قال ذلك لاشك أنه يعرف شيئاً وله حسابات دقيقة حول هذا الموضوع لم يقلها لي بل قال للآخرين، لكل من جلس معه، قالها للرقيب القبيح وللعقيد مدير السجن.

بعد يومين عرفنا خططه، أخذوهم إلى بناية أخرى ثم أفرجوا عنهم بعد يومين.

ο ο ο

ـ ٢٦ ـ

صراع في السجن

مما لاشك فيه أن قوانين السجون لا تشبه القوانين في الخارج، السجن له طابع خاص، وحياة خاصة، وشروط خاصة أيضاً.

لذلك فإن قوانينها نقيض قوانين الخارج، ومع هذا فالإنسان لا يستطيع أن يفرق بين قوانين الداخل والخارج وهذا الشيء نسبي حسب النفسية والشخصية.

في الخارج لا يستطيع الإنسان الجلوس مع أعز صديق أكثر من ساعات أسبوعياً أو شهرياً، لكن في السجن تتغير المدة فتبقى مع بشر وبمكان ضيق أربعاً وعشرين ساعة متصلة كل يوم، حتى لو كنت لا تعرفهم ولا هم من أقربائك. لذلك لا تستطيع تمييز نفسك عن الآخرين سلباً أم إيجاباً، وحالتك الاجتماعية والإنسانية.

الجميع هنا متساوون في الزمان والمكان في القيمة والأمانة والأخلاق. فالصديق الذي تعرفه منذ زمن طويل يظل غامضاً في بعض جوانبه لا تعرف عنه إلا القليل، لكن في السجن فخلال عدة أشهر تنكشف فيه جميع الأشياء، فتجد في صديقك هذا عادة الشخير مثلاً مجرد أن يضع رأسه على الوسادة يبدأ بإرسال شخيره على مداه، توقظه عدة مرات تدفعه ـ تضربه.. لكن تبقى عادة الشخير، ولكل مناعاته، تغضب منه وينتابك إحساس فظيع بأن تضربه ضرباً مبرحاً ثم يأتيك آخر يهز رجليه بشكل متواصل فيثير أعصابك، فماذا تفعل

وقتها؟ ربما يُجَنّ، هذا غير الوضع النفسي الذي يمرّ به كل واحد في السجن.

بعض الأشخاص تعرفهم في الخارج كرماء وفي السجن بخلاء، آخرون لا يخشون شيئاً وفي الداخل كتلة من الجبن والهلع، وقتها تحس بالخيبة.

وهناك أسباب أخرى كثيرة تسبب الصراعات والمشاكسات والاختلافات التي تحصل في السجن وعلى الأغلب ا يظهر السبب الحقيقي بل أسباب أخرى تافهة.

ترى صديقين يحبان بعضهما كثيراً في الخارج، وفي الداخل يتصارعان كعمال المرافئ، يتضاربان بشكل همجي، لكن المعتقل السياسي لم يكن ليفعل ذلك إذ كان يخفف وطأة المشاكسات والمنازعات.

أثناء وجودي في المعتقل شهدت صراعاً قوياً كذلك أثناء اعتقالي بسبب ٦ ـ ٧ أيلول وجدت نفسي غير قادر على تفريقهم عن بعض في أول الصراع، دخلت حجرتي، وسمعت ما تبقى من الآخرين.

كان «والي» صديقاً حميماً لي، كانت أعصابه متوترة جداً في تلك الفترة كالقوس المشدودة الجاهزة للإنطلاق، أو كديك حبشي جاهز للقفز والمصارعة، كان يتحدث بعصبية زائدة كالوقود الذي يرمى عليه عود ثقاب، ربما أنهى دراسته الجامعية أو على وشك، كان شاباً ضعيف البنية لشدة عصبيته، يدافع عن الحق أينما وجد، مثقف من الطراز الأول، يحب المطالعة كثيراً.

بعد مرور سنوات طويلة رأيته بعد لقائنا الأول في المعتقل عندما كنت أقوم بزيارة أنقرة، كان موظفاً في مديرية الإحصاء وقد أصبح بسيطاً جداً.

لكثرة تجاربه الحياتية، لم يكن ذلك الذكي المتفتح الذهن الجاهز للمشاكسة.

أرسل لي بعض منشورات مديرية الإحصاء بعد اللقاء الأول، واتصلت معه عدة مرات هاتفياً لكن لم نلتقِ، ولا أدري ما حصل لوالي؟ أعتقد أنه أصبح متقاعداً الآن

وأورد حادثة بسيطة وقعت بيني وبينه وتدل على مدى تطرفه.

كان ذلك عام ٩٥٣ أو ٩٥٤ وكنت أملك مكتبة في حي /لفنت/ واسمها «أولوش» وكنت أبيع الكتب والجرائد والمجلات، وبشكل عام كانت المكتبة خاسرة دائماً. ثم افتتحت محلاً للتصوير في حي «باي أوغلو» وكانت هي الأخرى خاسرة، والديون تتراكم علي وتغمرني ويجب أن أعيش، كنت مضطراً للقيام بأي عمل لأفي ديوني وأستمر في الحياة، قررت أن أصدر ألبوماً خاصاً بجوامع استانبول كلها وأصدرت ذلك بالديون والقروض. احتفظت شخصياً بنسخة منها ووضعتها في صالون جمعية نيسين لأنها ذكرى غالية جداً، قبل فترة أخذت تلك النسخة لحفظها جيداً لأنها تحوي صور أربعين جامعاً في استانبول مصورة على أوراق بيضاء نظيفة وعلى الصفحات المقابلة للصور كتبت أسماء الجوامع بثلاث لغات وهي التركية والفرنسية والانكليزية. لكن دون تواريخ.

على الغلاف توضيح بثلاث لغات وبالتركية: جوامع استانبول، وهذا هو الجزء الأول من جوامع استانبول والأجزاء المتبقية تأتي تباعاً، صمم الغلاف من قبل مكتبة /ألوش/ للنشر استانبول. صُوِّرت عن طريق استوديو بارادي للتصوير - باي أغلو- أهدود زقاق نمرة ٣٤ استانبول

طبع في مطبعة بابيالي

التوزيع: فاضل أونوفردي - حي أنقرة رقم ٤٨ استانبول

خالد اوستكرجي - حي أنقرة - مقابل المحافظة رقم ١٣ استانبول.

ذلك الوقت منع اسمي من الظهور وبشكل عشوائي حتى كان يمنع

في الإعلانات وهذا لم يكن خوفاً لأنني كنت أنشر باسم مستعار في الجرائد والمجلات.

لقد دام هذا الحظر من عام ١٩٤٦ حتى ١٩٥٧ م. عندما نلت الميدالية الذهبية للمرة الثانية في المسابقة التي جرت في ايطاليا، أحد عشر عاماً مستمراً من الحظر فلاحظو نتائج وتأثير هذا الحظر الذي فرض علي عشوائياً.

الألبوم اذي أصدرته لم أكتب اسمي عليه بل اسم المكتبة والموزعين. ولو كتبت اسمي ما كان ليساعدني أحد في التوزيع والطبع والتصوير أبداً ولو بيع الجزء الأول لكنت قد أصدرت الأجزاء المتبقية كما ذكرت على الغلاف كان هذا عملي الأخير للتخلص من الفاقة والديون إلا أنه لم ينجح ولم يُبع إلا بقلّة، وقد بعتها لتجار الجملة بأسعار زهيدة لأوفي قسماً من ديوني. حتى الغلاف كان من تصميمي وعندما أراه الآن أشعر كم كلفني حالياً وقتها وعندما جاء والي إلى الاستوديو ورآني أنجز هذا العمل اتهمني بالرجعية وترك مبادئي في الحياة مقابل ربح مادي قليل، لأن من يقوم بنشر صور للجوامع رجعي، ولم يترك أحداً من أصدقائه وأصدقائي إلا وأخبره بذلك أي كشفني على حقيقتي.

أما «عرفي» فشيء مختلف، إنسان آخر، معجزة رفاقه، كان شاباً طويل القامة، قوي البنية، إذا تحدث فصوته كالرعد، سماته شرقية أصيلة، كان عصامياً خلق نفسه بنفسه، يقرأ كثيراً لأنه ترك المدرسة بعد الابتدائية، وكثرة القراءة كانت تخفف من إحساسه بالنقص لذا كان حساساً سريع التأثر فكان من الصعب إقامة صداقة دائمة معه.

كما أسلفت، كان «عرفي» من بين الناس الذين عرفتهم في حياتي، لأن المجيء إلى هنا من بلاد نائية ووسط ضيق ووصوله لما هو عليه كل ذلك معجزة على الأقل بالنسبة إلي، جاء لا يعرف أية مهنة، يحصل

على طعامه اليومي بقوة وكما يقولون «يحصل على قوته اليومي من الحجر» إضافة إلى مساعدة رفاقه له وكان يمارس بعض الأعمال غير القانونية.

كنت أحبه بسبب حساسيته المفرطة، وابتعدت عنه في الأيام الأخيرة بعد خروجنا من السجن وسمعت بأنه أصبح غنياً جداً لكن المسكين ما لبث أن توفي في قمة شبابه وغناه متأثراً بمرض السرطان.

هذا هو والي... وهذا عرفي.. وقعا في مشاجرة مثيرة صباح أحد الأيام ولم أكن أعرف سببها وليس بالضرورة أن أعرف. كان صوت عرفي يملأ بهو المعتقل والغرف حتى خارج السجن، خرج الجميع من الغرف كان عرفي قوي الصوت والبنية وباستطاعته رفع والي بيده ورميه بعيداً. عندما بدأت المشاجرة دخلت غرفتي وما سمعته فيما بعد هو: أن والي عذّب عرفي كثيراً حيث ضربه بحذائه بشدة فآلمه، وكان الجميع يرون أن الحق مع والي... لماذا؟

مهما كانت دوافع وأسباب هذه المشاجرة فالأسباب الحقيقية واضحة فما هي؟ هنا تبدأ قوانين السجن تأخذ مجراها لتسبب مثل تلك المشاجرات، كل الذين كانوا يحبون «عرفي» قبل السجن أصبحوا يكرهونه، والسبب ربما كان تافهاً، ضمان وجودنا هو أربعة صنابير للماء لا تكفي لستين شخصاً خاصة في الصباح الباكر عندما يقف الجميع بدورهم أمام كل صنبور كان «عرفي» يحب النظافة بشكل غريب، فإذا ما وقف أمام صنبور كان من الصعب عليه مغادرته، كان يغسل نصف جسمه الأعلى المغطى بالشعر لمدة طويلة غير آبه بالصف المنتظر وراءه، فلو تراجع عن بعض نظافته لأراح الجميع لكنه لم يفعل، كانت وقفته تدوم أكثر من نصف ساعة، وكان الجميع يكرهه لهذا السبب، وهناك سبب آخر فعندما كان يغسل أسنانه وفمه وأنفه يصدر أصواتاً غريبة

عجيبة لا يمكن تحمّلها لأنها تثير الاشمئزاز، ولكي لا أسمع تلك الأصوات كنت أدخل غرفتي وأسدُّ أذنيَّ بأصابعي، وهذه العملية كانت تتكرر دائماً.

كان الكره يتعاظم نحو «عرفي» يوماً بعد يوم، مع أنه كان بريئاً من الذنوب، وهذا كان السبب في مشاجرة «عرفي» ووالي، وربما لا يعرفان السبب الحقيقي.

○ ○ ○

▪ ٢٧ ▪

إخلاء سبيل دون سؤال أو جواب

في إحدى المقابلات جاءت مرال، وهي تحمل خبزاً

ـ لقد طَردْنا /فِنْدِق/ وهو اسم الكلب الذي كان يربيه الكاتب.

في البداية لم أفهمْها، دُهشتُ كثيراً، ظننتها تمزح، كان الأمر لا يعقل.

ـ هل رقيتموه؟.. كيف؟

ـ كان يقلب البيت رأساً على عقب، يعض الأحذية، يمزق الستائر والسجاد والفرش

نعم هذه العادة موجودة لديه، لكنها ليست سبباً كافياً لرميه، كان «فندق» صديقي الوحيد أيام وحدتي، تآلفنا كثيراً، استغربتُ تصرفَ ميرال ولا أدري كيف أشرحُ شعوري نحوها آنذاك أحسستُ بخيبةِ أمل

ـ لو ربيتِه أو درّبتهِ كان أفضل من طرده، لو وضعتِه على السيلكون، في الخارج ريثما أخرج من السجن

كانت المرة الأولى التي أحسست بكره لمرال، لكن لم أظهِرْهُ لها

قالت: لم نرمِهِ، وضعناه عند صديقك مربي الكلاب /كامل جاويش/ ليعتني به، قالت ذلك وكأنها أحست بمشاعري من خلال وجهي.

بعد خروجي ذهبت إلى صديقي القديم مربي الكلاب لأعيد «فندق» إلى البيت لكن لم أجده، كان صديقي مات وتوزعت كلابه.

بعد ثلاثة أشهر من اعتقالنا جاء ذلك الرقيب القبيح، ظاهره أقبح من داخله وداخله أقبح من شكلهِ. اقتادنا اثنين... اثنين مع حارسين مسلحيّن إلى أحد الأماكنِ، إلى النائب العسكري ليحقق معنا، ثم ثلاثة ثلاثة... يدخل الأول والآخران ينتظران في الخارج، ويظل الواحد قرابة عشر دقائق

أدخلوني إلى غرفة فيها شخصان الأول قاضٍ عسكري برتبة نقيب أو ملازم أول والثاني ضارب آلة كاتبة

سألني النائب بعد التعارف:

ـ أينَ كنت ليلة ٦ و ٧ أيلول؟

ـ عفواً سيادة القاضي قبل كل شيء أريد أن أعرف تهمتي، ثم لماذا أنا هنا لتحققوا معي

ـ لا أنت ولا غيرك يحق لهم سؤالي.. أين كنت تلك الليلة

ـ قبل أن أعرف لماذا أنا هنا.. بأي قانون توقفون إنساناً عن عمله وتعتقلونه لأشهر طويلة من السجن.. رجل قانون.. ليحصل ما يحصل.

طبعاً لو سألني ذلك الضابط /بائع التوت/ ما كنت لأجيبه هذا الجواب.

كان القاضي طيب القلب يفهم الأحداث بشكل جيد وسبب وجودي هنا بشكل واضح، لذلك قام بتنظيم كلماتي وأملاها على الكاتب بشكل لا يضر بي...

وقعتُ على محضر التحقيق واقتدت مع زملائي إلى غرفنا.

قبل رأس السنة راحوا يخلون سبيلنا، دون سؤال أو جواب ودون أن يقولوا شيئاً لأحد. كان من الواجب عليهم تجاه من احتجزوهم أربعة أشهر معاملتهم برقة وشفقة. كأن يقولون الحمد لله على السلامة.

لقد اعتقلتم خطأ، نعتذر عن هذا الالتباس، نتمنى ألا تتكرر ثانية معكم... مع السلامة.

هذا أقل ما يقال من قبلهم، فمن يحترم نفسه يحترم الآخرين، وجميع الذين كانوا السبب من منفذين وقائمين على الاعتقال، والذين أذاقونا الويل في ذلك المعتقل لا يملكون أدنى احترام لأنفسهم ولشعبهم وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه.

لأنهم يعتبرون أنفسهم أفضل الناس ويجب احترامهم من قبل الجميع. مع قلة الاحترام الموجودة لديهم يأتينا الجنرال «نور الدين أكنوز» بين حين وآخر بأحكامه العرفية والتي ترفض الاحترام والانسانية عامة. وفي نهاية كل بلاغ يتمادى قائلاً: «لقد منعتُ.. لقد أعلنتُ.. لقد تحملتُ»

لم تكن الأحكام العرفية في يوم من الأيام قاسية كما هي عليه في عهد الجنرال «نور الدين» وربما كان سيتمادى في غيّه ومدحه لنفسه إذ يحقق مطلبه القائم في تعليقنا على المشانق كعناقيد العنب في أحداث ٦ و ٧ أيلول المفجعة.

لقد رأيت بشراً غليظين قساة، مرائين في كلامهم، أصبحوا كالفئران ورأيت ؟؟؟؟ تماماً، أثناء حياتهم العادية يكونون بسطاء ويصبحون أقوياء أشدّاء في أوقات الضيق.

مثل ذلك الانسان القاسي الشديد الذي كان يطالب بتعليقنا على المشانق يظن البعض أنه سيبقى كما هو كان شديداً وقاسياً لا يهاب شيئاً،

أرسل رسالة إلى العقيد «كوكسال» عضو قيادة الأمة. طالباً فيها العفو والمغفرة.

جاء ذلك في الزاوية التي كان يكتبها (أوغوز مومجو) بعنوان رسائل التغيير في جريدة الجمهوريات.

هذه الرسالة تحمل إمضاء نور الدين أكنوز الذي أصبح قائداً للأحكام العرفية في استانبول بعد أحداث ٦ ـ ٧ أيلول المفجعة.

يطالب في رسالته إلى كوكسال العفو بهذه الكلمات «حسب توجيهات سيادتكم، أتمنى من سيادتكم أن تطلبوا من الأعضاء الآخرين العفو والسماح».

كان من يُفرج عنه يحمل فراشه وأدواته على كتفه حتى الباب الرئيسي وهناك كان يستقل سيارة إلى منزله.

كان هذا الافراج سريعاً غير منتظر، حيث أن أهالي السجناء لم يسمعوا الخبر في اليوم الأول وذلك بسبب إفراجهم عنا بشكل متواصل، كانوا يخلون سبيل خمسة عشر شخصاً في اليوم ومن بقي كانت الظنون تعصف بهم هل سنحمل التهمة لوحدنا؟ كانوا يفكرون، وكنت من بين الذين أفرج عنهم قبل ثلاثة أيام من عيد رأس السنة ١٩٥٦.

ولا أذكر الآن أين وكيف أمضيت ليلة عيد رأس السنة آنذاك. ربما في بيتنا البسيط الخالي من أدوات كثيرة. كالبراد ومكنة الخياطة. إضافة إلى الطبعة الثالثة من هذا الكتاب.

كنت أظن أنني خرجت من السجن قبل ثلاثة أيام من رأس السنة لكنني الآن أتذكر أين وكيف أمضيت تلك الليلة بتفاصيلها.

كان من الذين تركوهم في الدفعة الأولى صديقنا مظفر أوزكولاجان وكنت أنا في الدفعة الثانية أو الثالثة. كنا قد أمضينا عيد رأس السنة في السجن.

وأذكر الآن تلك الليلة بأدق تفاصيلها، كانت ليلة فريدة من نوعها رقصنا وغنينا وفرحنا حتى ساعة متأخرة من الليل.

ثم تمددت في سريري ورحت أكتب وأكتب حتى صباح اليوم التالي.

○ ○ ○

■ ٢٨ ■
من محاضر مجلس الشعب

لقد أخذتُ محاضر هذه الجلسات من مجلة التاريخ والمجتمع الصادرة في شهر أيلول عام ١٩٨٦ م.

مناقشات البرلمان لإعلان الأحكام العرفية في ١٢ أيلول ١٩٥٥ م عضو مجلس الشعب (عصمت اينونو) المتحدث باسم حزب الشعب الجمهوري في مدينة ملاطية

ـ لقد وقعَتْ أحداث مهمة وكبيرة في مدينة استانبول وازمير ليلة ٦ ـ ٧ أيلول من عام ١٩٥٥، لقد أهدرَتْ تلك الأحداث أرواح وأموال وكرامة بعض المواطنين الأبرياء. ولا أجد العزاء لنفسي مهما بلغ تأثري، أن مثل هذه الأحداث يجب أن تقابل بقوة القانون الذي يحمي المواطنين أينما كانوا. لأنها تؤدي إلى أغراض جماعية كبيرة. يجب أن يظل مواطننا صامداً بكل قواه وكأن شيئاً لم يحصل. يزاول عمله بسهولة وبساطة، على الأقل يجب أن يظهر هكذا.

في النهاية يجب علينا أن نسعى وراء حقيقة هذه الأحداث بكل تفاصيلها وحقائقها.

محمد أوزباي (من مدينة بوردور)

ـ أيها الزملاء: إن تلك الأحداث المفجعة التي أصابت الوطن والمواطنين على حد سواء ليست إلا تدبيراً من الشيوعيين الذين ينتظرون هذه الفرصة منذ وقت طويل، كي يقوموا بكل الذي حصل من سلب ونهب وأقاموا

الدنيا وأقعدوها كما أرادو.

لقد كانت حساباتهم دقيقة بشكل ملفت للنظر وخاصة أمام ممثلي ثمان وخمسين دولة يجتمعون هذه الأيام هنا كي يكوّنوا انطباعاً سيئاً عن بلادنا، لقد أهانوا شرف وطننا وأمتنا.

عندما فتح السلطان محمد الفاتح استانبول لم يمس أحد من عساكره مالاً أو عرضاً أو روح مواطن واحد في استانبول آنذاك حتى الكنائس لم تحرق يومها. هذه الأحداث لم تحصل منذ خمسمئة سنة بهذه الفظاعة والجسامة.

إن الذين قاموا بهذا العمل ليسوا إلا جماعة تجرثمت دماؤهم ألا وهم الشيوعيون.

وإذا لم نعمل على شنقهم الآن فإنهم سيشنقون الوطن والبلاد والعباد، لهذا السبب فإن الشفقة عليهم تعتبر ذنباً كبيراً.

* السيد الكسندروس هاجيبوس (عضو مجلس الشعب من استانبول).

الأحداث المؤسفة التي حصلت صارت معروفه لدى الجميع في الداخل والخارج، لقد أحرقت المعابد والمراكز الثقافية في كل مكان، مما أدى إلى خسائر فادحة للوطن، أُحرقت البيوت الآمنة وخُربّت في الليل، وظلت عائلات كثيرة لا ذنب لها دون مأوى.

لقد كان للطباعة دور كبير في تفجير الأحداث (الصحف اليومية) هل تريدون مثالاً على ذلك.

قبل أيام، في الثامن من هذا الشهر كتبتْ جريدةُ «ألوس» في إحدى صفحاتها هذه الكلمات:

ـ لقد أُحرقت الكنائس من قبل قساوسة يونانيين. هل يُعقل هذا أيها الزملاء؟. نعم كتبت الجريدة ذلك بعد الأحداث:

أيها الزملاء. إن أكثر شيء تأثرنا به وأزعجنا هو موقف السلطة التنفيذية في هذا البلد، وأقولها مجبراً وأنا آسف فلساني لا يطاوعني على القول: لقد غضوا النظر عن أحداث معينة حصلت وأمام ناظرهم، وإليكم مثالاً على ذلك.

لقد جاءت إلى الجزيرة الكبيرة أكثر من عشرة قوارب تضم حوالي ثلاثمئة شخصاً غير مسلحين، وصعدوا الجزيرة أمام قوات الأمن وتحت ناظرها، فلو أرادت هذه القوات القاء القبض عليهم لفعلت وكالفئران لأنهم عزّل من السلاح. ألم يكن باستطاعتهم ذلك؟ حادثة أخرى جرت وسط حي التقسيم، عندما كان الناهبون يحاولون كسر باب ثانوية «زابيون» كانت مجموعة من الشرطة الخيّالة تمر من هناك لم تمنعهم ولم يتفوه أفرادها بأية كلمة.

والآن سأذكر لكم حادثة أخرى مهمة خاصة أنها وقعت في منزلي، بهذا أنا مجبر على الكلام:

هناك مخفر للشرطة قرب منزلي. يعرفني أفراده ويعرفون أبي وأمي، لقد دخل المخربون منزلي، ولم يتركوا شيئاً في داخله دون تحطيم أو تخريب، والحراس الواقفون على باب منزلي لم يتدخلوا بشيء، أبي وأمي في الثمانين عذبّا وأهينا منتصف الليل، كسرت سرائرهم وكل شيء في غرفتي وشاهد ذلك وبأم عينه مستشار مجلس الوزراء آنذاك السيد «صالح كورور»

الكلمات التي كانوا يطلقونها: أحرقوا منزل هذا.... انه يتقاضى راتبه دون أن يقدم شيء. أين قوانين هذا البلد؟ أين أمن الوطن والمواطن و...

في المحلة الجديدة كان بعض المخربين يدخلون منزلاً وإذ بأحد أفراد الشرطة يقترب منهم قائلاً: ما زال الوقت مبكراً.. عودوا بعد ساعة هل هذا هو الأمن؟ والآن أورد لكم الأمثلة:

السادة الزملاء: لقد استخدم المخربون في كل بيت دخلوه هذه العبارات «لا تخافوا لن نقتلكم، هناك أوامر بهذا الخصوص.. لكن سنخرب بيوتكم»

هناك مسؤولون يصدرون هذه الأوامر من هم؟...

ربما تحصيل حاصل لإحدى التشكيلات الأمنية أو غيرها

إذا كانت قوات الشرطة بأنواعها لم تستطع التغلب على بضع آلاف من المخربين العزل، فإن حالنا في المستقبل سيكون أكثر صعوبة وسنواجه في المستقبل القريب أحداثاً دامية تصادمية.

زملائي الأعزاء: إن هذا الحدث كان كبيراً ومنظماً وبشكل كبير في استانبول حيث تم إحراق ٧٠ كنيسة وتخريبها وهذا من أصل أربع وسبعين كنيسة وفي وقت واحد.

السادة الزملاء: لقد فتحت القبور وتم إخراج أجداث آبائنا وأمهاتنا من الأرض وطعنت أجسادهم بالسكاكين، هذه ليست مبالغة أيها الزملاء، هذه حقيقة، جزء من الأحداث التي عشناها خلال هذه الأيام.

السيد برهان الدين أوناط (عضو مجلس الشعب من مدينة أنطاكية)

هذه حادثة فريدة من نوعها في تركيا ولأول مرة... والجميع لا يتحدثون إلا عن هذا... هناك شيء يدور وراء الكواليس نجهله، كم قلت أن هذه الأحداث ليست تركية الأصل ولن تكون أبداً لأن الأمة التركية حتي اليوم بعيدة عن مثل هذه الحوادث فلماذا الآن؟ هذا لن يحدث أبداً...

إن الشيوعية هي التي ضللت شبابنا ولمّتهم تحت جناحها اللامرئي أينما ذهبوا، لقد خدعوهم ونظموهم في تشكيلات نظامية هدّامة.

السيد سنان تكيل أوغلو (عضو مجلس الشعب من مدينة سيهان)

يجب أن نبحث ونكشف أولئك الذين يجروننا إلى مواقف موازية رجعية ونحن بعيدون تماماً عن هذا الموقف.

وأقول بصراحة إن وظيفتنا في هذا المجلس ليست إلا الإعلان والإقرار لأشياء مناسبة للوطن والمواطن.

السيد عبد الله صبحي تانريفور: عضو مجلس الشعب استانبول.

أقولها ومع الأسف الشديد: إن المقصود من هذه الأحداث لم يكن سوى اليونانيين لكن بعض الأقلية الأرمنية وقعت في فخّهم، حتى بعض الأتراك تضرروا ضرراً كبيراً، إنه إعصار أعمى مدمر، وجّه من جهة معينة. ولذلك كانت الأحداث التي حصلت.

إن الكتّاب في اليونان وتركياً لم يتحملوا مسؤولية كتاباتهم، لأنهم كانوا المحركين والمحرضين لهذه الأحداث، لقد حاولوا إبعاد شعبين متجاورين عن بعضهما بإثارة الفتنة والطائفية، وهذه الأمور ليست خافية عن أعين الشباب المثقف والمواطنين الواعين. وهذه هي قناعتي الشخصية.

لذا أرجو من الحكومة ألا تدع مجالاً للشباب الفتي الدخول في المناقشات التابعة لسياسة الدولة الخارجية والداخلية معاً.

وأملنا الوحيد أن يأتي اليوم الذي نرى فيه هضبة الأناضول وقد ضمّتْ أرضها الخالية أكثر من ستين مليوناً من الناس مع الأقليات الموجودة.

السيد فؤاد كوبرلو: عضو مجلس الشعب من مدينة استانبول.

نائب رئيس الوزراء للشؤون الخارجية.

أيها الزملاء: لقد تناول الجميع الأمن والقوات الأمنية التابعة للدولة مداولةً نقداً، وهنا أريد أن أقول لكم شيئاً: إن الحكومة كانت على علم مسبق بكلٍّ ما جرى وقد أخذت بعض الاحتياطات لذلك. لكنْ لم تكن

تعلم ساعة وقوعها. وقد انفجرت الأحداث بشكل مفاجئ وفي كل الاتجاهات وكأنها القيامة.

لقد تحرك الشيوعيون بشكل غريب وسريع ودخلوا فيها، والمظاهرة التي كانت بداية وطنية تحولت إلى تخريبية بحتة، فبدأ الحرق والهدم والخراب. ولو لم تكن تلك الأحداث مخطط لها لما حصلت بهذه القوة.

وكما تعرفون إن الجمعية اليونانية والتي مقرها /أثينا/ تقوم بدعم القبارصة الأتراك في قبرص ومعها عصابة أخرى تقومان بإثارة الفتنة بين الشعبين وتعملان بأمرة واحدة وتحت شعار واحد. هذه الأيدي، التي أدت إلى تفجير القنبلة في سالونيك والتي قطعت أسلاك الهواتف هي نفس الأيدي التي تحرّك المؤيدين للحركة اليونانية في قبرص.

إن حرق المعابد عمل خططت له الشيوعية، ومثل هذه الأعمال / كحرق الكنائس والمعابد/ لم تقع في تاريخ تركيا المعاصر. ويريدون لذلك قطع العلاقات الحميمة بين الأتراك واليونانيين. ثم إظهار تركيا أمام الغرب دولة متعصبة ـ متطرفة لا تستطيع مجاراة الحضارة بأي شكل من الأشكال. وبذلك عودة إلى العصور الوسطى، وهم القوى الحمراء والسوداء. (ويقصد بهم الشيوعيين والاشتراكيين)

هذه الأحداث ستظهر جليةً عندما تكمل الحكومة تحقيقاتها عن الأحداث، لقد تم تهديم وحرق أكثر من خمسة آلاف بناء ومحل تجاري أثناء الأحداث وهي لليونانيين والأرمن واليهود والأتراك.

فالخسارة عامة ليست لليونانيين فقط. ومهما بدت معادية لليونانيين فهي في الواقع حركة شيوعية بحتة. اتخذت المال غطاء لها إنها مشؤومة ومفزعة.

السيد صلاح الدين قره يعوز: عضو مجلس الشعب عن مدينة ترابزون.

أهم ما في هذ الحادثة أنها مرتبة بشكل عام. فالأحداث التي حصلت على مسافة ستين كيلو متراً مربعاً وفي نفس الوقت، دليل قاطع على أنها أحداث مخطط لها مسبقاً. وما حادث تفجير القنبلة في منزل أتاتورك المحترم إلا إشارة واضحة لبدء التدمير والتخريب من قبل العناصر الفاسقة والفاسدة.

في النهاية تم إعلان الأحكام العرفية في ثلاث ولايات، ودامت لمدة ستة أشهر متواصلة، وقابلة للتمديد.

وقد تم الاعتراض على طلب المعارضة بتمديد الاجتماعات حتى شهر تشرين الأول.

مناقشات مجلس الشعب حول الخطة الجديدة للحكومة:

لقد تم إخراج تسعة أعضاء من المجلس في المؤتمر الذي عقده الحزب الديموقراطي، وتم استقالة عشرة نواب لنفس السبب. كانوا من الذين سينظمون حزباً جدياً باسم الحرية. في النهاية قدّم رئيس مجلس الوزراء استقالته مجبراً. بعد أن أبعِدَ أكثر الأعضاء من الحكومة ومجلس الشعب.

ترأس الحكومة الجديدة السيد عدنان مندريس في السادس عشر من كانون الأول عام ١٩٥٥.

السيد عصمت إينونو المتحدث باسم الحزب الجمهوري ممثلاً عن ملاطية.

لقد كانت أحداث ٦ ـ ٧ أيلول فرصة استثنائية بالنسبة لحكومة اليونان. لأنها طلبت من حلف الناتو ـ الأطلسي ـ دعماً مالياً ومعنوياً بهذه المناسبة. وقالو بأنهم سيعالجون الأمر بعقلانية بعد الدعم القادم من الناتو. لقد حاول مندريس التدخل لدى الحكومة اليونانية عن طريق السفارة التركية في أثينا محاولاً وضع النقاط على الحروف ـ حول الأحداث ـ إلا أن محاولاته باءت بالفشل.

في الرابع والعشرين من تشرين الثاني الثاني في عام ١٩٥٥ جرت مراسم تعزية نظامية في مدينة أزمير، ورفع الوزير جاويش أوغلو علم اليونان.

في مساء السادس من أيلول خرجت إحدى عربات الإطفاء التابعة لمصلحة ازمير الشرقية ووقفت أمام محل تجاري بحجة أن بعض الأشخاص سيقومون بحرق أحد المحال، لم يخجل محافظ ازمير من شعبه عندما رفع العلم اليوناني في إحدى ساحات مدينته، كان الأجدر به أن يقوم بوقف تلك الأحداث قبل اتساعها هناك.

إن المسؤول الأول والأخير عن الأحداث هو حكومة مندريس التي بقيت متفرجة فقط، ويجب أن تقدم استقالتها فوراً.

ما قاله السيد عثمان بلوك باش ممثل حزب ـ CM.P.

لم يشاهد أحد على أية صفحة من الصحف ما فعلته الشرطة بالمظاهرات التي أقامتها المعارضة حينما انهالت بضرب المتظاهرين بالهراوات الغليظة.

٣ ـ مناقشات المجلس حول التكليف المقدم للتحقيق مع رئيس الوزراء ووزير الداخلية.

قدّم حزب الشعب الجمهوري تقريراً ممثلاً بالسيد محمد هازار ضد رئيس الوزراء عدنان مندريس ووزير الداخلية السيد كاديك في الثالث عشر من كانون الثاني عام ١٩٥٦.

ما قاله السيد /نيفيك يتكيف/ ممثل حزب الشعب الجمهوري عضو مجلس الشعب عن مدينته ملاطية.

أيها الزملاء الأعزاء: إن أحداث ٦ ـ ٧ أيلول ليست كما نتصورها تمرداً وعصياناً على الدولة والواقع، لكنها نتيجة ترتيب دقيق وطويل لقد أخذت الفئات التي فجرتها جميع احتياطاتها الكاملة لتفجيرها.

وبصرف النظر عن قيام هذه الأحداث مرة واحدة وبنفس الوقت في استانبول وأزمير، فإن أحداثها في استانبول تتشابه مع أزمير فوجود الآلات الحادة القاطعة والهدّامة، ووجود السيارات مع الفاعلين في الأحياء والشوارع لدليل قاطع على أن هذه الأحداث قد رتبت ترتيباً دقيقاً، بشكل يثبت أنها ليست عصياناً أو تمرداً. يوضّح المحافظ في تقريره المقدّم للحكومة وبالدليل القاطع أنّ الغليان الجماهيري والتحركات الجانبية كانت قد بدأت بوضوح منذ السادس والعشرين من آب الماضي، فلماذا لمْ تتخذْ الحكومة الاحتياطات والتدابير اللازمة وهي على علم مسبق بما سيجري؟

أ ـ حسب الروايات، فإن عناوين المحال والأماكن التي أحرقت وخربت قد أخذ من بعض المخاتير.

٢ ـ قبيل الأحداث طلب الحراس من بعض المواطنين إظهار أرقام بيوتهم ومحالهم بحجة أنها غير واضحة.

ما قاله السيد عدنان مندريس، رئيس الوزراء ـ استانبول ـ لا يمكن للمتهم أن يثبت عكس الحقيقة. فالسيد عدنان مندريس سيأمر بفتح ملف تحقيق ليثبت براءته، طبعاً ستظهر النتيجة ببراءته.

أيها الزملاء:

يجب أن يفتح ملف تحقيق لإثبات كرامة الوطن وشرفه من الوحل، حتى لو أدى ذلك الى القضاء على عدنان مندريس شخصياً.

فلماذا لم تتدخل قوات الأمن أو تتحرك بشكل فعال وحيوي وذلك خلال وقت قصير وقد تمّ اعتقال أكثر من ستة آلاف شخص بعناصرها القليلة التي لم تتجاوز ألف وخمسمائة شرطي....

وتقولون أن قوات الأمن لم تتحرك.

أيها الزملاء المحترمون: لقد تدخل الجيش ولولا ذلك لكانت التخريبات

مضاعفة فلكل قاعدة شواذ، لقد كانت حركة الجماهير قوية ومفاجئة. وكان الهيجان عنيفاً بشكل تستحيل معه السيطرة عليها. وهل باستطاعة قوات الأمن فتح النار على مئات الألوف. لا أيها الزملاء لكانت حقيقة مجزرة وطنية وكارثة حقيقية.

أيها الزملاء:

من البديهي والواضح جداً أن قوات الأمن لم تستطع أن تقوم بواجبها على أكمل وجه، لأن حركة الجماهير كانت قوية وشاملة، لقد تم الإعلان عن اثنين وخمسين حريقاً في وقت واحد وأماكن متفرقة.

لم يكن أي شخص يستطيع تخمين مثل هذه الحركة الشاملة والكبيرة وتقولون: بما أنَّ هذه الأحداث خرجت مرة واحدة في أزمير واستانبول وأنقره بمئات الألوف من الشعب دفعة واحدة، ربما يُظن أنه مخطط لها سابقاً. أنا أقول العكس أيها الزملاء، بما أن هذه الأحداث اندلعت دفعة واحدة وفي عدة أماكن وبهذه الضخامة أكرر أن هذه الأحداث غير مخطط لها سابقاً. إن جَمْعَ مئات الألوف من المواطنين في وقت قصير ليس أمراً سهلاً أيها الزملاء.

ooo

۲۹

كيف تخلصنا من الإعدام

سؤال يخطر على بال كل قارئ، في الوقت الذي كان الجميع ينتظر صدور أحكام الإعدام علينا، فإذ بهم يفرجون عنا فجأة.

كيف حصل هذا؟

أعتقد أن سبب خلاصنا هو السيد عصمت إينونو، لأنه فهم الموقف على حقيقته، ولم يأكل الطعم الذي رموه له، لأنها خدعة معروفة. والسبب الآخر هو اللقاءات الداخلية والخارجية وتأثير الرأي العام العالمي والموقف العادل له لأنه فهم الوضع بكل أبعاده.

لقد نقل السفراء الموجودون في تركيا ما رأوه وسمعوه إلى حكوماتهم وبالتفصيل.

لقد تحدث السيد عثمان بلوك باش في مناقشات مجلس الشعب وقرأ ما كتبته جريدة نيويورك تايمز الأمريكية بتاريخ السابع عشر من أيلول لعام ١٩٥٥ في الصفحة الرابعة

في الوقت الذي كانت تهب فيه الرياح الساخنة وتجتاح الأجواء التركية ليلة ٦ ـ ٧ أيلول كان السفير الأمريكي السيد «ارتو ريتشارد» يرسل إلى الخارجية الامريكية برقيات عدة. جاء في الأولى:

التخريب كبير وكأن الأمور خرجت من اليد، وليس هناك أية بادرة من قبل الشرطة التركية بالسيطرة على الأمور فهي تقف مكتوفة الأيدي دون عمل أي شيء. لقد شهدتُ السلبَ والنهبَ بأم عيني.

أنفاس الذكريات..

بعد المناقشات التي جرت في مجلس الشعب والتي أوردناها باختصار تبين أن السياسيين الأتراك ورؤساء الأحزاب سيظلون على ما هم عليه من لا مبالاة ولا وعي، إذا نجح الجنرال نور الدين أكتور في اعدامنا لأن ضميرهم لم يكن يتحرك ولن يلين جانبهم تجاهنا. وإن ما فعلته الحكومة بشأننا لم تكن سوى ذر الرماد في العيون ليس إلّا... لكن ذلك بدا واضحاً عندما بدأت وكالات الأنباء العالمية والمحطات التلفزيونية بوضع النقاط على الحروف.

أنا أهتم بما خسرت في أحداث ٦ ـ ٧ أيلول لكن أهتم بما ربحته عدداً كبيراً من الأصدقاء والخصوم، وخبرة كبيرة في الحياة، ذكريات حلوة جميلة ومعاناة حقيقية.

أقول يكفيني ما أخذت من غنى هذه الحياة وجمال ألوانها الزاهية، لقد عشت أحداثاً كبيرة بعد أحداث ايلول والتي ظلت باهتة كالحة جامدة / أي أحداث أيلول/ أمام تلك الأحداث الجديدة.

جمعية نيسين

١٢/ آب/ ١٩٨٦

انتهت

الفهرس

الرجــال.. والمشانق

«الرجال والمشانق» كتاب يصف فيه «عزيز نيسين» أحداث أيلول المأساوية في تركيا والمشابهة لأحداث ليلة «سان برتملي» عام ١٥٧٢، عندما أمر شارل الرابع ملك فرنسا الكاثوليك بالهجوم على البروتستانت، لقتلهم ونهب أموالهم.

كان عزيز نيسين من المتهمين بالتحريض على الإضطرابات، والذي طالب الإدعاء العام التركي بإعدامه مع رفاقه وغيرهم.

لقد جاء الكتاب تعبيراً صادقاً عن ألمه لمجتمعه البائس الذي قاده حكامه المرتبطين بالأحلاف الإستعمارية إلى حافة العدم.

نادى وهو في سجنه: يجب ألّا نسكت، يجب أن نفعل ما نؤمن به، لنفكر بالرحمة لإيضاح الظلم، فالدموع التي في عيوننا، هي من أجل أن يعيش أطفالنا الفرح والسعادة.

الناشــــر

الغلاف: سندباد

السعر ١٢٥ ل.س